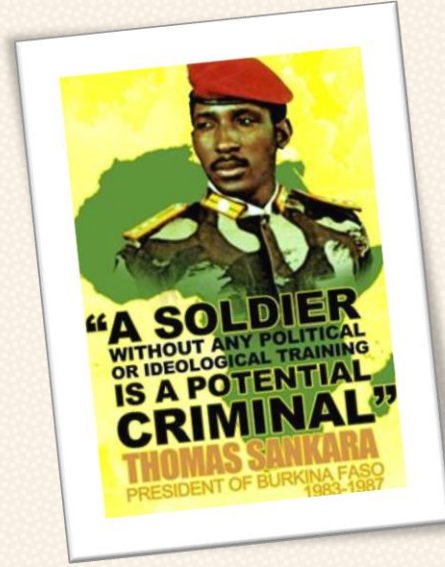
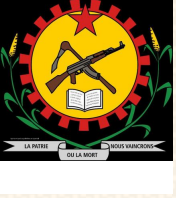


سقوط القائد #سانكارا أو لماذا لا يمكنك أن تنجز ثورة بدون الجماهير  
The Fall of Captain Sankara, or  
Why You Can't Make Revolution without the Masses

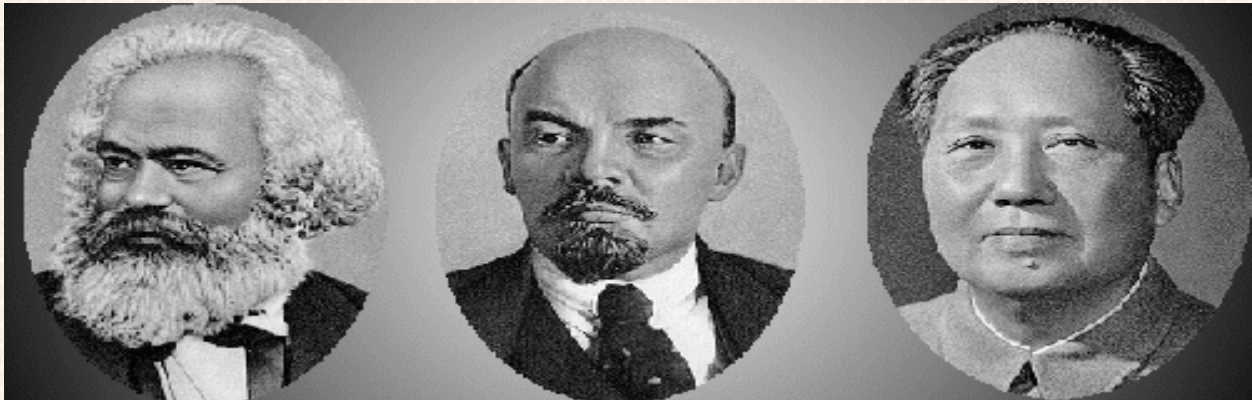


Page | 1



# سقوط القائد #سانكارا أو لماذا لا يمكنك أن تنجز ثورة بدون الجماهير

The Fall of Captain Sankara, or  
Why You Can't Make Revolution without the Masses





## توطئة

هذا العنوان هو عنوان لدراسة منشورة في مجلة "عالم لنربحه A WORLD TO WIN"، في عددها العاشر لعام 1988، الناطقة بشكل غير رسمي باسم حركة الثورة العالمية التي تتبنى الماوية كتطور للماركسية اللينينية في وجه الانحرافات عن النهج الماركسي اللينيني. تأسست الحركة عام 1984 وانتهت عمليا عام 2012.

في مثل هذا اليوم، بالأمس البعيد القريب، وتحديدًا في 15 أكتوبر/تشرين الأول من عام 1987، سقط توماس سانكارا شهيدًا، عند اغتياله بأيدي مجموعة من الخونة، وبترتيب من المخابرات الفرنسية، وبتأييد ودعم من بعض نواطير المستعمر الأفارقة، خوفاً من امتداد تأثير ثورته العظيمة التي بدأت بانقلابه العسكري، وهو برتبة رائد في الجيش البوركينبي، قبل ذلك التاريخ بأربعة أعوام فقط.

توماس إيزيدور نويل سانكارا، جيفارا أفريقيا، تجربة ثورية رائدة في مناطق نفوذ الناهب الدولي، تستحق الدراسة والنشر.

بوركينفا فاسو، التي كانت تعرف قبل سانكارا بـ فولتا العليا، والتي تعني "وطن الأحرار الشرفاء"، كما أسماها سانكارا إبان انقلابه العسكري، شهدت صراعا ثوريا عظيما، ضد الناهب وأعدائه الرجعيين والعملاء المتنفعين والمرترقة، وبذات القدر من الأهمية، ضد البنية الفكرية الثقافية المتهتكة التي كانت تسود المجتمع المنهوب في بلاده. في ذكرى رحيل سانكارا، نستحضره اليوم بقوة التاريخ الذي يعيد نفسه كمأساة.

سنحاول هنا، في الذكرى السنوية الـ 29 لاستشهاد توماس سانكارا، نشر هذه الدراسة بعد ترجمتها عن اللغة الإنجليزية "بتصرف علمي أمين للمضمون"، تباعا بشكل حلقات، كي يتيسر للقارئ المهتم تناولها واستيعابها على مهل.

رابط الدراسة باللغة الإنجليزية

<http://www.bannedthought.net/International/RIM/AWTW/1988-10/AWTW-10-BurkinaFaso.pdf>

نبراس عثمان

دمشق 15 تشرين الأول/أكتوبر – 10 تشرين الثاني/نوفمبر 2016



سقوط القائد #سانكارا أو لماذا لا يمكنك أن تنجز ثورة بدون الجماهير  
The Fall of Captain Sankara, or  
Why You Can't Make Revolution without the Masses



Page | 3





## الحلقة 1

تمزّق صدره بوابل من الرصاص، وسقط سلاحه "الكلاشينكوف" فوق تراب أواغادوغو الجاف، بالقرب من الأجساد التي تهاوت من أفراد رفاقه العسكريين ومستشاريه صرعى إلى جانبه في موقع الكمين. هكذا بدا مشهد الإطاحة بقائد "ثورة" بوركينا فاسو، توماس سانكارا، عشية الانقلاب الغادر في 15 أكتوبر/تشرين أول عام 1987.

تم تحميل الجثث بأسرع ما يمكن في الجيب العسكري، بيد الجنود الذين يتلقون أوامرهم من بعض الوزراء الطامعين، الذين كانوا يشغلون مناصب مهمة ضمن المجلس الوطني لقيادة الثورة (National Council of the Revolution (NCR)، بغاية الإطاحة برئيسه. عاود الجنود ظهورهم ليلا، وهم يهيلون التراب بجرفاتهم فوق الأجساد المغدورة، منجزين بذلك المقبرة الجماعية على عجل في جنح الظلام.

مع موت سانكارا، ماتت "تجربة" الإصلاح الجذري التي تعلقنا بها آمال الكثيرين في أفريقيا والعالم المنهوب بأسره. لقد مثّلت بوركينا فاسو أحدث محاولة لإيجاد "طريق مستقلة" نحو التحرر الوطني بدون حرب ثورية تقوم بها الجماهير، وبدون قيادة حقيقية من حزب سياسي بروتيتاري (حزب الكادحين)، والأهم، بدون فكر علمي ماركسي - لينيني - ماوي. لذلك، مثّل الانقلاب الغادر خاتمة دموية لأحداث كُتبت نهايتها، كما في الملاحم الإغريقية التراجيدية، بإتقان شديد.

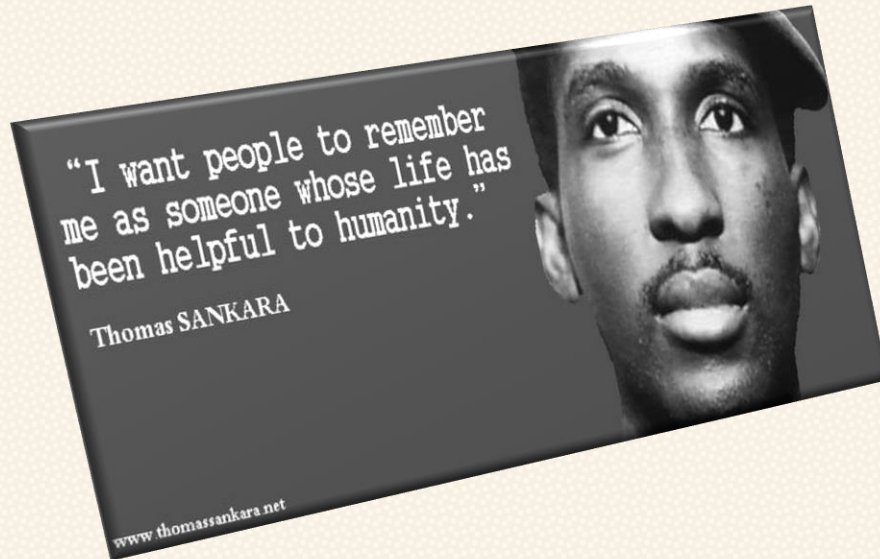
لم يكن سانكارا شيوعيا في ثورته على الإطلاق (وهو لم يحاول يوما أن يدّعي ذلك أو يتظاهر به)، لكن مواقفه القتالية المناهضة للإمبريالية، والكاريزما الأنيقة والوثيقة التي امتلكها، وهيئته العسكرية الـ "تشي - جيفارية"، والأهم من ذلك كله، محاولته غير التقليدية في تثوير واحدة من أفقر بلدان العالم، كل ذلك، أسرّ الباب الكثير من الشباب الأفريقي والمثقفين، الذين تابعوا بحماسة طاغية، وعن قرب، إبداعاته الثورية، حتى اصطدموا، إبان مقتله، بتساؤلات فرضت ذاتها، عن نوع الثورة التي قادها سانكارا، وعمّا إذا كانت الطريق التي سلكها تؤدي، بالفعل، إلى إنجاز مشروع التحرر في أفريقيا..!!



## ألبوم الصور 1



فاضل بارو (في الوسط). من قيادات حركة السنغال الشبابية "يونا مار".





## الحلقة 2

ليس ل بوركينافاسو، التي كانت تعرف سابقا بـ "فولتا العليا"، أية سواحل، فهي بلد محاط باليابسة من جميع الجهات، وتتمادى في حدودها الشمالية ضمن منطقة "الساحل Sahel" الأفريقية التي تمتد لمسافة 3000 كم (وهي شريط من اليابسة شبه القاحلة على امتداد الحد الجنوبي للصحراء الكبرى).

تقع بوركينافاسو (فولتا العليا) عند مفترق الطرق التي سلكها مستعمرو أفريقيا، حيث يعود تاريخ استعمارها إلى عهد الإرهاب الفرنسي region of terror، في عام 1895، عندما قام الكابتن الفرنسي بقيادة رجاله عبر الهضبة المركزية central plateau (هضبة جنوب أفريقيا) لإبادة البشر وتدمير الثروات الحيوانية وحرق قرى بأكملها في سعيهم المحموم لنهب كل شيء.

وكجزء من عملية التغيير المستمرة التي طالت حدود الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية غرب أفريقيا، طال هذا التغيير حدود بوركينافاسو (فولتا العليا) أيضا بشكل مستمر، وذلك حتى عام 1947.

إن الغالبية العظمى من سكان "بوركينافاسو" هم من القرويين الرعاة والمزارعين الفلاحين. لكن اقتصادها لم يتطور أبدا، حيث تم حرف وإعاقة نموه عبر عملية النهب الاستعماري في المقام الأول، ومن ثم عبر الإجهاد عليه بسبب موجات متتالية من الجفاف والفيضانات والمجاعات. الأمر الذي أسال لعاب العديد من الإمبرياليات الغربية التي هرعت إلى تقديم "مساعداتها الإنسانية" من خلال ممثلاتها الطفيلية الجشعة كصندوق النقد الدولي IMF والبنك الدولي WB ومنظمة الأغذية والزراعة FAO والسوق الأوروبية المشتركة EEC ومتطوعي فيلق السلام الأمريكي US peace corps وغيرهم.

يدين غالبية سكان بوركينافاسو بالإسلام، بينما تحوي "مجتمعاته" العديد من الإثنيات الثقافية التي تنطق بما يزيد عن 60 لغة ولهجة. كما يقطن 90% من مجمل السكان، البالغ عددهم 8 مليون نسمة، في الأرياف التي تسيطر عليها العاصمة أوغادوغو. كما ينتمي سكان أوغادوغو، طبقيًا، إلى عدة شرائح اجتماعية اقتصادية: طبقة عاملة حديثة متواضعة الحجم، وطبقة ذات عدد كبير، إلى حد ما، من الموظفين الحكوميين الذين تتفاوت مراتبهم بين البيروقراطية الرفيعة، وخدمها وحراسها، والعسكريين، والحرفيين، وموظفي المصالح الاستعمارية الفرنسية. كما توجد أيضا طبقة التجار الجشعة، إلا أنها طبقة ضئيلة في حجمها. إن مدينة أوغادوغو بحد ذاتها هي صنيعه الإمبريالية، وهي المصب النهائي لعمليات نهب البلاد بأكملها.





لقد قام المستعمر الفرنسي عام 1932 بربط فولتا العليا عند حدودها الجنوبية، إداريا، بالمستعمرة الغنية ساحل العاج، من أجل جعل البلاد بأكملها، رسميا، خزاناً ضخماً لليد العاملة في المزارع والحقول العاجية. اليوم، لا يزال 2 مليون من الأيدي العاملة البوركينية تكدح في ساحل العاج بسبب زيادة التصحر وازدياد معدلات الهجرة إلى الجنوب.

وفي عام 1953 منحت فرنسا فولتا العليا "حكماً ذاتياً"، وعهدت، بعد ذلك، بالاستقلال الرسمي الممنوح لها عام 1960، إلى ثلثة من البرجوازيين الكمبرادوريين من أجل إعادة إنتاج وجودها الاستعماري بمظهر جديد تحت مظلة سياسية مؤلفة من ضباط جيش فاسدين يدينون لها بالولاء التام، ويتعاقبون على خدماتها عبر الانقلابات المتكررة، بدعم من النقابات القوية المرتبطة بهم.

بالفعل كان صادماً، وبشدة، انتهاء عهد سانكارا السياسي، الثوري الجذري، بذات الطريقة الانقلابية المفاجئة. لكن الأهم، هو أنه استخدم ذات الوسائل الانقلابية للوصول إلى السلطة، ومارس ذات الطبيعة في بسط قوة الدولة الجديدة، مما منعه، بشكل أساسي، من إنجاز ثورة جذرية وشاملة في البلاد.

سقوط القائد #سانكارا أو لماذا لا يمكنك أن تنجز ثورة بدون الجماهير  
The Fall of Captain Sankara, or  
Why You Can't Make Revolution without the Masses



## ألبوم الصور 2

Page | 8







### الحلقة 3

لقد أسمى سانكارا "ثورته" بـ "ثورة الشعب الديمقراطية"، التي كانت تهدف إلى أن "يمسك الشعب بزمام السلطة في البلاد". لقد كان هذا الأمر، في الحقيقة، هو ما يلخص المشكلة. فالسلطة السياسية في البلاد لم يمسك بها الشعب عبر ثورة شعبية، ولم يتم توليها من الأسفل، بل تم الاستيلاء عليها من الأعلى، بواسطة قائد التيار المعادي للإمبريالية في الجيش، ذي الكاريزما الثورية الكبيرة، والعمر الصغير، الرائد توماس سانكارا، والذي وجد نفسه رئيسا للحكومة في تشرين الثاني/نوفمبر من عام 1982، عندما تولى جان باتيست أويدراوغو Jean-Baptiste Ouédraogo، الطبيب وقائد الجيش، زمام الرئاسة، بالتعاون مع الجناح اليساري من ضباط الجيش ومع النقابات. وبعد أن قام سانكارا، وهو في منصبه الجديد هذا، بدعوة الرئيس الليبي معمر القذافي لزيارة أوغادوغو في نيسان/أبريل عام 1983، سرعان ما تم اعتقاله (نقصد سانكارا) بعيد وصول مستشار الرئيس الفرنسي ميثيران ومسؤول الشؤون الأفريقية الفرنسية (غاي بين) إلى المدينة، في الوقت الذي كانت العلاقات الدبلوماسية مع الفرنسيين في أسوأ أحوالها. عقب الاعتقال هب الشباب البوركيني في أوغادوغو وانسحبت مجموعة من الضباط العسكريين اليساريين إلى معسكر لقوات النخبة الخاصة في مدينة "بو" في الجنوب البوركيني، حيث قاموا بالتخطيط للقيام بتمرد عسكري يعيد سانكارا إلى السلطة.

في الرابع من آب/أغسطس من نفس العام، زحف المتمردون نحو العاصمة وتمكنوا من الاستيلاء على السلطة معلنين قيام "الثورة". لقد اعتمد هذا الانقلاب "اليساري" بالكامل على التيارات البرجوازية اليمينية عبر القيام "بمناورة ذكية" في التحالف المؤقت، وغير المنظم، مع الأجنحة العسكرية اليمينية و"المعتدلة" الموجودة في الجيش المرتبط، في مجمله، مع الحالة النيوكولونيالية.

لقد كان ذلك التحالف، في أحسن الأحوال، ضرورة مستعجلة، ولكن مؤقتة، من أجل ترسيخ القاعدة الاجتماعية في المدن لمصلحة التنظيمات اليسارية الراديكالية المؤثرة في قطاعات البرجوازية الصغيرة، وخاصة في القطاع التعليمي، وقطاع الموظفين المدنيين، كي يتسنى للثورة الإمساك بمقاليد السلطة.

على حد تعبيره الصريح، يقول سانكارا: "بدونهم.."، يقصد الجناح العسكري اليميني، "...لم نكن قادرين على الانتصار، فقد جهزوا الجماهير لنا". ويقول أيضا وبشكل يدعو للدهشة: "إن سندا الرئيسي هم العمال المنظمين"، وهو يقصد النقابات العمالية المعتمدة في قوامها على الموظفين المدنيين في العاصمة.





إنه على الرغم من تعاطفه الواضح مع الفلاحين فيما يتعرضون له من محن، وعلى الرغم من رغبته الصادقة في تحسين ظروف معاشهم، إلا أن سانكارا لم يعتمد عليهم في بناء قاعدته الاجتماعية، بل كانت رؤيته ومسيرته التي انتهجها تصب في مصلحة البرجوازية الصغيرة التي تقطن في المدن. ومنذ اللحظات الأولى، لم يكن سانكارا ذلك الشخص الذي يستطيع أن يحرر الغالبية العظمى من جماهير بوركينا فاسو الكادحة. لقد نال سانكارا شهرة واسعة في البلاد، هذا صحيح، ويمكن القول إن الجماهير، بشكل عام، لم تقم بمعارضته، لكن هذه الجماهير كانت في معظمها على الحياد. وعلى الرغم من ذلك، كان سانكارا واثقا من قدرته على جذبهم باتجاه ثورته مع مرور الزمن. أما بالنسبة للمعضلة الشائكة التي تتجلى في محو الموروث الكولونيالي المترسخ في العقيدة العسكرية لدى أفراد الجيش، فقد اعتقد سانكارا أن باستطاعته تحويل الجيش إلى جيش الشعب، من خلال "التثقيف السياسي". يقول: "نحن نريد أن ينصهر الجيش في الشعب".

كما اعتبر أن قيادته هي "التعبير الديمقراطي للشعب"، لكن الواقع أنبأ عن تمركز الصراع على السلطة السياسية في أيدي أعضاء المجلس الوطني لقيادة الثورة CNR، الذي منح السلطة للتيارات اليسارية الكبيرة، وكان بمثابة قاطرة لأربعة قادة عسكريين، هم: توماس سانكارا، وكومباوري، وجان باتيست لينغاني، وهنري زونغو. وذلك ليحاولوا حل النزاعات السياسية من خلال العمل سوية يدا بيد مما يمكنهم من تحقيق برنامج إصلاحي.

يمكن القول، إنه لو تم اختبار تجربة سانكارا ورفاقه بالاعتماد على نواياهم الحسنة وأفكارهم الجيدة لما فشل أحد منهم. فقد أراد سانكارا مساعدة الفلاحين وإزالة ثقل أنظمة الزعامة Chieftdoms القبلية القائمة على التسيّد الموروث وعلاقات القرابة في الأرياف، والقضاء على فساد الحكومة والمسؤولين والموظفين المتنعمين، ومساواة المرأة بالرجل في حقوقها وتخفيف أعبائها الاجتماعية، وتحقيق هدفه في توفير وجبتين طعام جيدتين في اليوم لكل شخص، وكل المياه التي يحتاجها الفلاحون.

لقد أراد سانكارا للبلاد أن تعتمد على "الذات" لا على الاستعماريين والإمبرياليين، لأجل بناء اقتصاد وطني حقيقي وقوي، كما أمل في تطوير الثقافة الأفريقية وتشكيل تحالفات قوية مع الدول الأفريقية النامية.

كما أراد سانكارا بلادا حرة ومستقلة بشكل حقيقي، حيث كان ضد جميع أشكال الهيمنة أو الخضوع للأجنبي، وأعلن أن ذلك هو قضية مشتركة مع: "كل الشعوب التي تريد أن تساعدنا في كفاحنا ضد الظلم والطغيان".

سقوط القائد #سانكارا أو لماذا لا يمكنك أن تنجز ثورة بدون الجماهير  
The Fall of Captain Sankara, or  
Why You Can't Make Revolution without the Masses



### ألبوم الصور 3

Page | 11





## الحلقة 4

لقد كمنت مشكلة تصور سانكارا السياسي عن الثورة في عجزه عن الاتكاء على تحليل طبقي سليم، وإخفاقه في تبني الفكر القادر على تحرير المضطهدين، ذلك الفكر الذي يعني للبروليتاريين (الكادحين)، بالضرورة، عِلْم الماركسية اللينينية الماوية. وعلى الرغم من أنه أقر بتأثره بالماركسية اللينينية وانجذابه نحوها، إلا أنه استعار منها، وبشكل انتقائي، بعض الأفكار التي توافق تطلعات الطبقة البرجوازية الصغيرة التي عمل على تثويرها، والمتمثلة في ضباط الجيش النيوكولونيالي الصغار الساخطين على الواقع، ثم قام بربط تلك الأفكار مع تيارات فكرية أخرى قريبة من الفكر العموم-أفريقي Pan-Africanism والأفكار القومية القديمة old nationalism المتهالكة.

يقول سانكارا: "لا توجد سياسة بدون فكر. وبالنسبة لنا، يعطينا ذلك الفكر دروبا مضيئة تبين لنا حقائق المجتمع. إن الكرامة الإنسانية هي الفكر الذي نعتنقه". لقد اعتقد سانكارا أنه ليس ثمة قالب غير القالب البوركيني، الذي حاول على الدوام إعادة تشكيله. يقول: "دائما ما كانت المركزية الأوروبية تحاول التخلي عن الآباء الروحانيين لقادة العالم الثالث. لماذا تريدون، وبأي ثمن، تصنيفنا وحصرننا في زاوية فكرية ضيقة؟! إنه لا خلاص لشعبنا إلا بالإشاحة عن كل القوالب الجامدة، وبشكل جذري، والتي حاول دَجّالو الفكر تسويقها لنا على مدى 20 عاما. نحن سنأخذ من الآخرين ما يتناسب مع حالتنا ويلعب دورا خلاقا فقط."

وليصوغ نموذجه البوركيني الخاص، اقتبس سانكارا من الكوبيين صرخة الحرب (الوطن أو الموت، سنحارب...!!)، ومن ألبانيا-أنور خوجة شعاره الوطني (المعول والبندقية)، كما أنشأ لجان الدفاع عن الثورة CDR Committees to Defend the Revolution وفقا لنموذج أقرب حلفائه: الغانيين، الذين أخذوه بدورهم من الكوبيين. الأهم من ذلك، أنه أعَدّ مزيجا غنيا يتكون من التحريفية العصرية modern revisionism سوفيتية (خروتشوفية) المنشأ، ما بعد ستالين، مع الكثير من مكونات النموذج الفاشل، والمُصنَّع أفريقيا، للـ "الاشتراكية"، بالإضافة إلى بعض المفاهيم والإجراءات التي طوّرها ماو تسي تونغ من أجل الثورات في البلدان المستعمرة، والتي لم يستطع سانكارا، للأسف، فهم الأسس العلمية التي اعتمدها ماو فيها، ولا إدراك إصراره (نقصد ماو) على الحاجة لحرب شعبية ثورية تقوم في وجه الإمبريالية وأدواتها.

يمكن تشريح خلطة الرؤى السياسية التي ركبها سانكارا إلى عدد من الميول المتنافسة فيما بينها، والتي شهدتها الساحة السياسية المعارضة في أوغادوغو وباريس. فقد احتوى الطيف السياسي "الأكثر يسارية" للعسكر مجموعة "تقدمية" من الضباط





الموجودين ضمن الجيش البوركيني النيوكولونيالي، والذي تم تدريبه على يد ضباط من فرنسا والمغرب، الذين اصطلح على تسميتهم الضباط الشيوعيين المُعاد تشكيلهم Communist Officers' Regrouping CO'R. ذلك التشكيل الذي كان مرتبطا بشدة مع منظمات سياسية عاملة ضمن الوسط الفكري. ومن بين هذه المنظمات، كان:

1. حزب الاستقلال الأفريقي African Independence Party AIP
2. مجموعة من التحريفيين الموالين للسوفييت، والمتغلغلين ضمن الكادر الإداري والقوى السياسية التي تقود المنظمة الجماهيرية المعروفة باسم الاتحاد الوطني للتطوير Patriotic League for Development PLD
3. مجموعة من التحريفيين الصينيين المنضوين تحت مظلة اتحاد المناضلين الشيوعيين - المُعاد بناؤه -Union of Communist Struggles -Reconstructed UCS-R، والموالين لتيار "دينغ شياو بينغ"، الذي قاد الصين عام 1978 نحو تبني اقتصاد السوق بعد إطاحته بخليفة ماو "هو جيو فينغ". وهؤلاء كان لهم أشد التأثير على الطلبة في السكن الجامعي.
4. شركاء الـ UCS-R في تأثيرهم القوي على الطلبة، وهم الحزب الشيوعي الثوري الفولتي Voltaic Revolutionary Communist Party VRCP الموالين لألبانيا، الذين قادوا الاتحاد العام للطلبة وخمسة نقابات للموظفين المدنيين.
5. اتحاد النقابات الفولتية Voltaic Union Confederation VUC، وهو أقوى الجمعيات في البلاد.
6. بعض الدوائر الماركسية والتروتسكية الأخرى.

لقد تقاسمت هذه القوى السياسية المناصب الوزارية، ما عدا التيار الموالي لألبانيا، والذي شكّل قوام "المعارضة الموالية"، إلى أن أعلنت ألبانيا دعمها سانكارا وأنها ستحذو حذوه.

وبينما سادت حالة الجدل السياسي في أروقة الحكومة والدوائر اليسارية، كانت المشكلة العمليّة تتمثل في أن الإمبرياليين لا يزالون يجثمون فوق بوركينا فاسو ولم يتم طردهم. وعليه، كانت ثورة سانكارا، منذ ولادتها، وأثناء تطورها، ثورة تتدلى من الأعلى، ما منعها، على الرغم من المستوى الخطابي الذي تميزت به، من أن تمتلك الوعي المطابق لواقع معاناة الجماهير الكادحة، فكانت عاجزة عن صياغة برنامج تثويري حقيقي، مبني على المصالح الطبقيّة لتلك الجماهير.

لا يتوجب على المرء أن يكتفي بالوعود النظرية والآمال، بل عليه امتلاك القدرة العملية على ممارسة ثورة ديمقراطية تستطيع تحطيم القيود الإمبريالية وشبه الإقطاعية، وعلى خلق الشروط الضرورية للتقدم نحو المرحلة التالية من ثورة الكادحين الاشتراكية.

سقوط القائد #سانكارا أو لماذا لا يمكنك أن تنجز ثورة بدون الجماهير  
The Fall of Captain Sankara, or  
Why You Can't Make Revolution without the Masses



هكذا، فقط، يمكن أن يتم تحويل علاقات الإنتاج الرجعية والمشوّهة إلى علاقات خالية من الاستغلال، كما يمكن إطلاق العنان، بأقصى حدوده، للقوى الكامنة في جمهور الفلاحين، وبقية الجماهير الثورية.



سقوط القائد #سانكارا أو لماذا لا يمكنك أن تنجز ثورة بدون الجماهير  
The Fall of Captain Sankara, or  
Why You Can't Make Revolution without the Masses



## ألبوم الصور 4

Page | 15





## الحلقة 5

في شهر تشرين الأول/أكتوبر من عام 1983 أصدرت الدائرة العسكرية الحاكمة في بوركينا فاسو، والتابعة لسانكارا، "خطاب التوجيه السياسي"، الذي كان مزيجا من الأفكار الوطنية والرؤى العموم-أفريقية Pan-Africanism والمفاهيم الاشتراكية، وذلك من أجل إثراء برنامجه الإصلاحية.

لقد وَقَعَ سانكارا، ومنذ بداية الثورة التي قام بها، في فخ الاعتماد، وبشكل شبه تام، على القطاعات السكانية صغيرة الحجم التي كانت تقطن في المدن، من الذين يتمتعون بمقدار أكبر من الرفاه المعيشي، إذا ما قورنوا بالقطاعات الفلاحية الكبيرة التي كانت تعاني من حالات فقر مدقع.

وفي نفس الوقت، بدا واضحا أن برنامج سانكارا الإصلاحية كان عَصِيًّا على التطبيق بدون أن يتم تخفيض الأعباء المالية الضخمة، على أقل تقدير، والتي يتم صرفها لصالح أجهزة الدولة التي تمثل النظام الحاكم في البلاد، وخصوصا الرواتب التي يتقاضاها الموظفون الحكوميون، والتي كانت، حتى عام 1983، تلتهم ما يزيد عن 75% من ميزانية الدولة.

ولذلك، قاد سانكارا معركة شرسة ضد الفساد، فقد:

1. فرض الغرامات المالية الكبيرة على المخالفين، وقدمهم للمحاكمات أمام محاكم الشعب.
  2. قام بتخفيض رواتب الموظفين المدنيين بنسبة وصلت إلى 20 - 30%.
  3. ألغى عوائد قروض الإسكان ونظام التأمينات البنكي والاستثمارات ذات الأرباح الطائلة.
  4. فرض نظام الضرائب العالية (تحت بند المساهمات) الذي شمل نظام دفع راتب الشهر الـ 12 من السنة.
  5. أرسل، وبشكل دوري، الموظفين المدنيين إلى ميادين مختلفة من العمل ليشاركوا في تنفيذ المشاريع الوطنية و"يكافحوا ضد نزعات البرجوازية الصغيرة" على حد تعبيره.
  6. أجبر العمال الحكوميين على ارتداء الملابس المصنوعة من القطن المزروع والقماش المنسوج محليا، كما منعهم من تناول الفواكه والخضار المستوردة.
- لقد ابتدأ القائد سانكارا بتطبيق إجراءاته على نفسه، حيث تقاضى أجرا زهيدا جدا، وأعلن عن ممتلكاته أمام مجلس مكافحة الاحتيال، وأصدر أمرا باستخدام الدوائر الحكومية للسيارات الرخيصة من ماركة "رينو" عوضا عن سيارات الـ "مرسيدس بنز" الفارهة.







تضمنت إصلاحات سانكارا، أيضا، القيام بمشاريع إسكان وتطبيق برنامج التلقيح الضخم الذي سُمِّيَ بـ "أسلوب المغاوير. Commando approach"، حيث تم تلقيح ما يزيد عن 3 ملايين طفل ضد العديد من الأمراض الفتاكة الشائعة خلال مدة لم تتجاوز 15 يوما. كما عمِلَ على إطلاق حملات واسعة لمحو الأمية على غرار تلك التي تم تنفيذها في نيكاراغوا وكوبا.

لقد تمكنت النساء، في عهد سانكارا، من الانخراط في الحكومة، وتم وضع مقترحات عديدة لرفع الظلم الاجتماعي الذي تعانين منه. فقد قام برنامج سانكارا الإصلاحية بـ:

1. إلغاء الزواج الإجباري.
  2. منع مهور الزواج.
  3. إنهاء ظاهرة بيع الفتيات الصغيرات.
  4. حظر تعدد الزوجات.
  5. محاربة الممارسات الجراحية المشوهة جنسيا (ختان الإناث).
  6. ولكي يتم نسف الأعراف والتقاليد الاجتماعية الموروثة الجائرة، فرض على الرجال الذهاب من أجل التسوق بدلا عن النساء لمرة واحدة أسبوعيا.
- في الريف، شدّد سانكارا على ضرورة محاربة ظاهرة التصحر، عبر إطلاق حملة لزراعة شجرة في كل يوم يوافق ذكرى ميلاد أو زواج أو موت أحدهم. كما أطلق سانكارا عدة حملات لمنع حدوث حرائق الغابات، وإيقاف رعي الماشية فيها، والاستفادة من مياه نهر الفولتا الشحيحة في محطات توليد الطاقة الكهربائية وفي الري.
- لقد قام سانكارا بإعادة تنظيم جيشه، مُستبعدا العناصر القديمة ذات التوجه اليميني منه، ومُخفّضا من أعداد الضباط القادة فيه. كما فرض على 8000 جندي القيام بـ "نشاطات تطويرية" من خلال المشاركة في الزراعة وأعمال البناء والتشييد.
- في الذكرى السنوية الأولى لقيام الثورة، عام 1984، قام سانكارا بتغيير اسم البلاد من "فولتا العليا" إلى بوركينا (وهي كلمة منحدرّة من لغة "موري" وتعني الأحرار الشرفاء) فاسو (وهو مصطلح مشتق من لغة "ديورا" ويعني وطن): أي "وطن الأحرار الشرفاء".
- إن جميع الإجراءات الإصلاحية، التي قام بها سانكارا، تُعتَبَر، برغم أهميتها، إجراءات "كميّة quantitative". وتعديلات سطحية لم تطل جوهر العلاقات الطفيلية الأساسية المسيطرة بين جهاز الدولة من جهة والشعب من جهة أخرى، وبين العاصمة والأرياف كطرفين. إن كل ما تم إنجازه، في حقيقته، كان إغضاب الطبقات ذاتها التي اعتمد عليها النظام الجديد في ثورته.

## ألبوم الصور 5



هذا يعني يجب علينا نعطي كل امرأة الوسائل  
لتمكينا من ان تتفاصي اجراً عادلاً لتعيش حياة  
the means to earn an honest and decent living!



ليديا تراوري -معلمة بمرحلة الأساس  
الشكر للثورة التي جعلت النساء ليكن جزءاً من النشاطات  
السياسية جانباً الي جنب مع الرجال



نبدأ أيضا يملأنا ما نلعبنا بلسف، فبقا نه لاهلنا بصفتنا يملع  
يج بضع فبيد كمل به هتمه ابا ال لائل...معقد



وفي الوقت الذي كانت فيه امراضاً كثيرة تؤثر  
علي الشعوب الافريقية قام سانكارا بحملة ضخمة من  
اجل التطعيم لاستئصال شلل الاطفال



ويغرس الروح فيه توماس سانكارا بتأسيس نشاطات  
رياضية شاملة وكنهية لجميع افراد الشعب بممارسة  
الرياضة مرة في الاسبوع

سقوط القائد #سانكارا أو لماذا لا يمكنك أن تنجز ثورة بدون الجماهير  
The Fall of Captain Sankara, or  
Why You Can't Make Revolution without the Masses



وفي المدن حيث يعيش الناس في الأحياء العشوائية قام  
توماس سانكارا بطرح برنامج تشييد مساكن عامة وإعادة  
تأهيل مناطق أخرى في المدينة



تعبه قاموا بتنظيم حملة الزراعة فلا بين الأشجار والتي كانت  
الأولي من نوعها في القارة



قام سانكارا بترويج مبدأ أن الأولوية تكمن في استغلال  
موارد البلاد لتفادي الاعتماد علي الصادرات



وزيادة معدل الانتاج المحلي من القطن فقد قام بتصميم  
وتصنيع ازياء (كغاب نسخة محلية) اطلق عليها دان فاني  
وكانت الزاما علي موظفين وعاملين الخدمة  
العامة والمدنية و يجب عليهم ارتدائه كواجب عليهم



بعض الناس يسألونني اين الامبريالية؟ فقط انظر الي اطباق  
طعامك عندما تأكل ستجد الحبوب المستوردة ذرة شامي  
وارز وتشعير هذه هي الامبريالية  
Just look into your plates when you eat:



## الحلقة 6

تزيد نسبة سكان القرى البوركينية الذين يعملون في مجال الزراعة (التي تعاني من بدائية شديدة) عن 90% من مجمل السكان. ومعظم الأراضي القابلة للزراعة يتم العمل فيها من أجل تحصيل لقمة العيش لا أكثر. وفيما عدا الجنوب البوركيني، فإن معظم أراضي البلاد تتسم بصعوبة زراعتها بسبب قلة خصوبتها. وتتسبب بدائية الأدوات والوسائل الزراعية، كالزراعة المستنزفة لخصوبة الأرض، ومشاكل التنقل الدائم للعائلات، وعدم كفاية الأسمدة والمبيدات الحشرية، في انخفاض العوائد. فمثلا، لا تتجاوز معدلات محاصيل الحبوب في بوركينا فاسو الـ 540 كغ/هكتار بينما تزيد عن 4883 كغ/هكتار في فرنسا!! يضاف إلى ذلك عوامل المناخ السيئة وغير المنتظمة، وأهمها انخفاض معدلات هطول الأمطار بنسبة 30% في السنوات العشرين الماضية.

يتميز المناخ شبه القاحل المسيطر في شريط "الساحل - Sahel" الذي يتمادى ضمن المناطق الشمالية من البلاد بتلاشي الأشجار، وانحسار الغابات، واستنزاف التربة وتآكلها، وبعدم القدرة على تدوير المحاصيل الزراعية في الحقول، وبالنقص الحاد للمياه، وانعدام القدرة على تطبيق أنظمة الري، وبتفاقم ظاهرة التصحر التي أثبتت الدراسات العلمية أنها غير مرتبطة بفعل إلهي ولا بتغيرات المناخ، بل ترتبط، وبشكل وثيق، بما يفعله الإنسان ضمن علاقات الإنتاج الإمبريالية.

لقد تم دفع الفلاحين باتجاه زراعة القطن والمحاصيل غير القابلة للتلف، وذلك على الرغم من وجود مناطق تمتلك القدرة على إنتاج محاصيل أهم كتلك الموجودة في "حزام الحبوب" حول مدينة "ديدوغو" غرب البلاد، بسبب عدم وجود الطرق وتقنيات تبريد المحاصيل، وكذلك بسبب الاقتصاد الموجه نحو "الإنتاج من أجل التصدير". وجميع استثمارات العاصمة اتجهت فقط نحو زراعة القطن التي تم استحداثها بالأصل من قبل الاستعماريين في المناطق الخصبة جنوب البلاد، مهملين بذلك الإمكانيات والخبرات التي يمكن استخدامها.

تشكل المنتجات الزراعية 90% من مجمل الصادرات، وبشكل رئيسي، القطن، بالإضافة إلى تصدير لحوم الأبقار وزبدة جوز الكاريتي karité (المستخلصة من ثمار أشجار "الشيا") والفول السوداني والخضار والفواكه الموسمية المعدة للتصدير إلى الدول المجاورة وفرنسا. يصل نصيب الفرد من مداخيل عوائد هذا التصدير ما يزيد بقليل عن \$200. وتذهب بقية المواد الغذائية المزروعة بمجملها تقريبا للاستهلاك المباشر وإلى السوق المحلية من أجل بيعها أو مبادلتها. وغالبا ما يتم ذلك تحت رحمة طبقة التجار





المستغلين التي تشتري الحبوب لتبيعها مرة أخرى في المواسم الشحيحة، وبمعدلات ربح عالية.

يُشكل الدُّخَن millet (البشنة أو إيلان باللهجة المغربية) والذرة الرفيعة/السورغم sorghum والذرة corn المحاصيل الزراعية الرئيسية التي يعتاش عليها الفلاحون البوركينيون. فالقليل فقط من المنتجات التي يتم تصنيعها منزليا بواسطة هذه المحاصيل [كزبدة الكاريتي التي تستخدم لاحقا في صناعة الزيوت والصوابين، والذرة الرفيعة (السورغم) التي يتم تصنيع البيرة (الجرة) المحلية المعروفة باسم "dolo" منها] يمكن بيعه مقابل مبالغ زهيدة من المال الذي تستطيع نساء بوركينا فاسو استخدامه لشراء احتياجات الحياة الأساسية أو إصلاح المعدات التي يستعملنها في صناعاتهن المنزلية أو شراء بعض الطباشير لأطفالهن إن كانوا يذهبون للمدارس.

في السنوات العشرين التي تلت الاستقلال، ارتفع معدل محو الأمية من 5% إلى 16% فقط، والأهم أن النسبة لم تتجاوز حاجز الـ 6% في الأرياف. بالإضافة إلى أن عدد الأطفال من الذكور الذين يُسمَح لهم بارتياح المدارس هو "ضعف" عددهم من الإناث. وكما هو الحال في جميع المجتمعات التي تزرع تحت نير الاستعمار الجديد (نيوكولونيايزم)، فإنه لا طريق أمام "المتعلمين" إلا الذهاب للمدن أو للدول المجاورة من أجل تأمين لقمة عيش كريم، لأن خزينة الدولة لا تستطيع استقدام موظفين مدنيين جدد باستمرار، كما يرفض معظم أولئك المتعلمين العودة إلى الفقر المدقع وشظف الحياة الفلاحية في الأرياف. لقد عانت البلاد من حياة قاسية بالفعل، حيث بقيت أكثر المشاكل إلحاحا كتوفير الغذاء ومياه الشرب تمثل العقبة الرئيسية في الريف البوركيني. وبسبب النمط القبلي التقليدي لتقسيم العمل عند معظم الجماعات الإثنية المتعددة، فقد كان على النساء تأمين كامل متطلبات أطفالهن، بالإضافة للأطفال الذين يلزمهن بهم زعيم العائلة حتى يبلغوا 7 أعوام من العمر، مشكلين في أغلب الأحيان مجتمعا مغلقا.

ففي صبيحة أي يوم اعتيادي، يكون على المرأة (وبناتها ولو في سن مبكرة أيضا) المشي لمسافة 10 - 15 كم من أجل الحصول على الماء، وجمع الأخشاب، والإبقاء على النار مشتعلة، وعزق (حراثة) الأرض، ومعاونة أطفالهن البنات في زراعة حقولهن (التي دائما ما تكون الأقل خصوبة والأكثر بعدا عن المنزل) قبل العودة من أجل طحن حبوب الدخن، وتنظيف المنزل، وإعداد وجبة طعام مسائية تكفي لجميع أفراد العائلة.

في المساء، تذهب المرأة مرة أخرى من أجل الماء، وتقضي ليلتها بعد ذلك في تخمير البيرة وتنقيتها من شوائب الدخن والذرة الرفيعة من أجل بيعها في السوق المحلية. فلا غرو، إذن، أن يكون معدل عمر الإنسان في المجتمع البوركيني بشكل عام هو 44 سنة،





لكنه عند نساء بوركينا فاسو 35 سنة فقط، أو أن تُصَيِّفَ الدول الإمبريالية بوركينا فاسو  
تاسع أفقر دولة في العالم.

إن هذه الحال التي ورثها سانكارا وأراد إصلاحها، تشبه ما خلفته الإمبريالية الغربية وراءها  
في العديد من المجتمعات الأفريقية، والتي تم تهيئتها كقوالب جاهزة لمغرفة الاستعمار  
الجديد الناهب. وعلى الرغم من سيل الخطابات التي تتحدث عن المآسي التي يعاني  
منها "العالم الثالث" بلغة حنو خيرية، والتي يتقيأها علينا صندوق النقد والبنك الدوليان،  
إلا أن المأساة الأكبر التي تعاني منها بوركينا فاسو كانت ولا تزال الإمبريالية ذاتها.  
فِيَجوار العلاقات الطبقية شبه الإقطاعية القديمة، تزرع، وبكل ثقلها، العلاقات بين  
الناهبين والأمم المنهوبة:

- فبينما يكاد يكون من المستحيل على الفلاحين إطعام أنفسهم وعائلاتهم، يحرق  
ذات الفلاحين الأرض، التي بالكاد يمكن زراعتها، لتنمو الفاصولياء الخضراء وتُباع  
في باريس عندما يحل الشتاء البارد.
- وبينما يكاد ينعدم اللحم البقري من وجبات السكان في بوركينا فاسو، يربي الرعاة  
الماشية من أجل تصدير لحومها الشهية إلى الدول الأفريقية الأخرى.
- وفيما تعاني البلاد من اقتصاد راكد وفقير غير متنوع المصادر، يكون زمام صرف  
عوائده كان يُدار لعقود من قبل فرنسا وشركاتها العابرة للحدود.

لقد قسّمت الإمبريالية الفرنسية العمل في مستعمراتها غرب أفريقيا بشكل واضح  
ومحدد: الكونغو وتشاد تزرعان القطن، والسنغال توفر الفول السوداني، بينما تكون  
الغابون مصدرا للأخشاب. وبالإضافة لكون فولتا العليا (بوركينا فاسو) خزانا بشريا يمد  
الحروب الأوروبية والاستعمارية بالجنود، فإن مئات الآلاف من الشباب البوركيني تم  
إرسالهم للعمل قسرا في مزارع البن والكاكاو المملوكة للفرنسيين في ساحل العاج. لقد  
ناسب التخلف البوركيني شراة الإمبريالية في النهب، وهذا الأمر كان عاملا حاسما  
ومقيدا في تطور بوركينا فاسو.

وكما تم التنويه عنه سابقا، فإن واحدا من أبرز خصوصيات بوركينا فاسو كان علاقتها  
(الجنوب تحديدا) مع ساحل العاج. حيث يمثل الـ 2 مليون بوركيني الذين يعملون هناك  
ما يقارب الـ 60% من مجمل الشباب البوركيني الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و35 عاما،  
ما يعني سرقة نسبة هائلة من أهم ثروات البلاد، وهي اليد العاملة الشبابية، التي تشكل  
عوائد مداخيلها مصدرا مهما لدخل عائلاتهم في الريف.

إن زراعة الكفاف subsistence agriculture من أجل لقمة العيش في بوركينا فاسو إنما  
هي الوجه الآخر لعملية الزراعة المدرة للأرباح plantation agriculture في ساحل العاج،  
والتي تحتاج بدورها اليد العاملة الرخيصة. ومن أجل الإشراف على هذا الخزان من اليد



سقوط القائد #سانكارا أو لماذا لا يمكنك أن تنجز ثورة بدون الجماهير  
The Fall of Captain Sankara, or  
Why You Can't Make Revolution without the Masses



العامة، وعلى الاستثمارات الصغيرة نسبيًا في محاصيل القطن، والهادفة لتصدير رؤوس الأموال، فقد دعمت فرنسا البرجوازية البيروقراطية في فولتا العليا (بوركينا فاسو)، وحافظت على طبيعة جيشها الكولونيالية، وأرسلت لها معونات التي لا تهدف إلى إحداث أي تطوير، بل بالكاد تسد رمق البوركينيين.



سقوط القائد #سانكارا أو لماذا لا يمكنك أن تنجز ثورة بدون الجماهير  
The Fall of Captain Sankara, or  
Why You Can't Make Revolution without the Masses



## ألبوم الصور 6

Page | 24







## الحلقة 7

في خطاب التوجيه السياسي تعهّد سانكارا يشن: "كفاح عنيف ضد الطبيعة، وضد الهيمنة الإمبريالية على زراعتنا". وقد كان عازما على إعطاء الأولوية للأرياف من خلال: "إكساب شعار (الاكتفاء الغذائي الذاتي) معناه الحقيقي، والابتعاد عن الجعجعة بدون طحن". فقام عام 1984 بتأميم الأراضي وسحب كل الامتيازات الإدارية والمالية من الزعماء التقليديين في الأرياف، وبتجريم "استغلال الناس خلف قناع الزعامات القروية". وللوصول إلى أهدافه الزراعية، أعدّ المجلس الوطني لقيادة الثورة CNR خطة التنمية الشعبية PPD for Popular Development التي يجب تنفيذها في غضون 15 شهرا، وذلك من أجل تمهيد الطريق أمام الخطة الخمسية الأولى المزمع تنفيذها من عام 1985 حتى عام 1990.

لقد هدفت خطة التنمية الشعبية أولا إلى التوجه نحو "تمحور الاقتصاد حول الذات economic autonomy" ثم الانتقال إلى تحقيق "الاستقلال الاقتصادي economic independence" عبر عدد من المشاريع الصغيرة والكبيرة التي تمولها الدولة، والتي تُمكن من بناء بنية تحتية أساسية للبلاد، وتلبي الحاجات المتزايدة للسكان سواء في المدن أم الأرياف.

شملت المشاريع الصغيرة حفر الآبار، بناء سدود ترابية صغيرة، إنشاء خزانات لحفظ المياه، ومشاريع للري، واستحداث نظام الحدائق السوقية market gardening على امتداد محافظات البلاد (وهي مشاريع محدودة الإنتاج من الفواكه والخضار والزهور والمحاصيل المعدة للتبادل التجاري cash crops التي تباع مباشرة للمستهلكين أو المطاعم).

بينما تمثلت المشاريع الضخمة ذات "المصلحة الوطنية national interest" والتي تتطلب استثمارات مالية كبيرة وتعبئة وطنية شاملة في سد كومبينغا لتوليد الطاقة الكهرومائية، وسد باغري المخصص لأغراض الري، والسكة الحديدية التي ربطت بين أواغادوغو وتامباو.

لقد كانت القاطرة السياسية التي أنشأها المجلس الوطني لقيادة الثورة CNR من أجل تنفيذ سياساته على كل المستويات وفي جميع قطاعات المجتمع تتمثل في "لجان الدفاع عن الثورة CDRs" التي هي عبارة عن "منظمات ضخمة تسمح للشعب بممارسة قواه الديمقراطية"، وتسمح له بالمشاركة الفعالة في بناء الوطن.

فكان من أهم مسؤوليات هذه اللجان، تثقيف الجماهير واستقطابهم للدخول في معارك التغيير الثوري، وتنظيم مشاريع العمل الجماعي ذات المصلحة الوطنية، والدفاع





"عسكريا" عن الثورة في وجه أعدائها في الداخل والخارج عبر التدريب العسكري المتواصل" الذي يقوم به ناشطو هذه اللجان.

بعد أن تأسست في أكثر من 7000 قرية بوركينية بالإضافة إلى كل مدرسة كبيرة ومصنع وحي ووحدة إدارية في المدن، أضحت لجان الدفاع عن الثورة هي السلطة الحقيقية في البلاد. لذلك فإن الصراع السياسي المحتمل ضمن بنية النظام الحاكم، والذي لم تتم تسويته بالاستيلاء على القصر الرئاسي، حدث أن تم إعادة إنتاجه ضمن بنية هذه اللجان.

فقد قامت عناصر يمينية قديمة، وبعض الأحزاب التي طردت من الحياة السياسية، مع مشايخ القبائل المخلوعين، بالتسلل ضمن اللجان، وعملت مع بعض التيارات اليسارية المتناحرة على استلام زمام قيادة اللجان في بعض المناطق. ومما زاد الطين بلة، كان ظهور تناقض مضاف في المدن، تجلى في اشتداد تنافس اللجان مع مسؤولي النقابات التي سُحِبَت منها قواعدها الشعبية. وعند نقطة معينة، حدث انفجار الصراع السياسي المفتوح علانية، حينما قامت نقابات المعلمين والموظفين الحكوميين بتحدي اللجان، ورفض الانضواء تحت مظلتهم.

لقد شكّل صغار الشباب، المليئين بالحماسة والحيوية، من المناصرين للنظام الجديد، جُلّ قوام لجان الدفاع عن الثورة. وقد أعطيت لهم صلاحيات تغيير كل ما يرونه ضروريا. في البداية، تم تزويدهم بالأسلحة من أجل حماية الثورة بالمعنى الحرفي للكلام، ولكن، سرعان ما تم إنهاء هذه المظاهر والسياسات المتبعة، عندما ظهرت "عدة حوادث من الاعتداء المسلح". وعندها، تم تغيير كوادر اللجان التي مثلت النظام السياسي الحاكم، مما أدى لتشكيل طبقة جديدة من المسؤولين صغار السن.

بدون جدال، يمكن القول، إن هذه المبادرة الشبابية تمكنت من إطلاق العديد من المشاريع الجديرة بالاهتمام بشكل واسع، ابتداء ببناء المدارس والمستوصفات، وحفر التمديدات الصحية، وترميم الأسواق التجارية، وحتى إنشاء ورش لتعليم القراءة والكتابة، وتنفيذ أهداف خطة التنمية الشعبية.

لقد لعبت كوادر لجان الدفاع عن الثورة دور العيون الساهرة على حماية خدمات المجتمع في الأرياف، فراقبوا عن كثب حركة مبيعات الحبوب، لمنع استغلال التجار الذين كانوا يبيعون الدخن بضعف سعره الرسمي، الأمر الذي كان سيعني، حسب تعبير القائد سانكارا: "موت الفلاحين جوعا".

وبسبب كرههم لبنية الزعامة القديمة، دخل شباب اللجان، بطبيعة الحال، في صراع حاد مع تلك الزعامات التي تم تهميشها، واتضح الصدام جليا في موضوع جمع الضرائب،





وهو الدور الذي كانت تلعبه الزعامات سابقا وتسرق جزءا منه. فكان إلغاء الضرائب ضربة قوية لنظام الزعامات القديم.

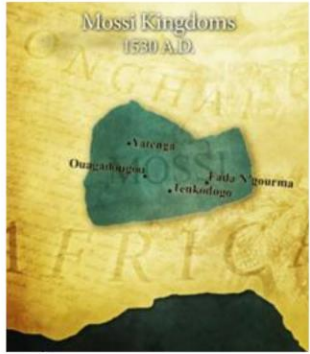
لكنه وعلى الرغم من اعتبار اللجان صلة الوصل مع الجماهير، إلا أن مراقبا واحدا للأحداث، على الأقل، كان قد أقر بأن الفلاحين أنفسهم غالبا ما كانوا لا يزالون واقعين تحت سطوة تهديد الزعماء القبليين لهم، وخصوصا في وسط بوركينا فاسو، حيث تقبع "بلاد الموسي" القبلية، التي تمثل الإثنية الأكبر حجما في البلاد، وتؤلف ما قرابته 40% من مجمل السكان. وبأنه في ظل التنافس الشديد بين لجان الدفاع عن الثورة من جهة، ونظام الزعامات القبلي القرابي من جهة أخرى، ضاعت مصالح وحقوق الفلاحين.



سقوط القائد #سانكارا أو لماذا لا يمكنك أن تنجز ثورة بدون الجماهير  
The Fall of Captain Sankara, or  
Why You Can't Make Revolution without the Masses



ألبوم الصور 7





## الحلقة 8

لقد كانت تجربة بوركينا فاسو، قبل كل شيء، مثالا تاريخيا مؤلما لتجارب ثورات التحرر، حيث إنه لم تكن هناك خطى حقيقية باتجاه القطع التام مع الإمبريالية. وبالرغم من أن سانكارا كان قد استهدف الإمبريالية كعدو أول له، ومن أنه دافع بقوة عن سعيه نحو تحقيق اكتفاء ذاتي في الإنتاج الغذائي في البلاد، وبالتالي تحقيق اقتصاد وطني يأخذ البلاد نحو الاستقلال، إلا أن البرنامج الاقتصادي الذي تبناه المجلس الوطني لقيادة الثورة منعهم حتى من تمكين الشعب من الوقوف على قدميه، ناهيك عن الوصول لهدفهم المشروع في تحقيق الاكتفاء الغذائي الذاتي.

لم يُحجَم سانكارا ورفاقه عن الاعتماد على كفاح الجماهير لتشن حربها على الإمبريالية والرجعية وتطيح بهما من أجل تولي زمام السلطة فقط، بل أيضا عن الاعتماد على جماهير الفلاحين، وبشكل أساسي، للقيام بتثوير القاعدة الاقتصادية في المجتمع باتجاه مصالحهم، وتثوير البنية الفوقية من أجل كسر أغلال التقاليد وتحطيم قبضتها الرجعية على العلاقات الاجتماعية.

لقد كانت المسألة بالفعل شديدة التعقيد، لكن الإصلاح الزراعي agrarian reform لم يكن قادرا على تحريك الجماهير، لأنه لم يكن مبنيا، بشكل عميق، على تحطيم أنماط الإنتاج ما قبل الرأسمالية التي كانت، حقيقة، تهيمن على الأرياف البوركينية وتغرس ذاتها في جسد العلاقات الاجتماعية.

بعد التحليل السليم الذي تناول الفلاحين كطبقة "دفعت أبهظ الأثمان من حيث وقوعها بين فكي الإمبريالية والاستغلال"، وعلى أنها هي "القوة الرئيسية" التي ستدفع باتجاه الانفكاك والتحرر، أشار خطاب التوجيه السياسي، وبشكل غير سليم، إلى أن دخول نمط الإنتاج الرأسمالي إلى البلاد أدى إلى قلب أنماط الإنتاج ما قبل الرأسمالية واستبعادها. لقد كان ذلك مجافيا للواقع الذي كان يصرخ بأن أشكال الاستغلال القديمة لا تزال متشابكة مع الأشكال الجديدة منها، ومتلازمة معها بقوة.

بل أكثر من ذلك، فعلى الرغم من أنه قد تم تدعيم الحالة الإنتاجية في البلاد، وإن بشكل طفيف، وخصوصا في قطاع القطن الذي استُحدث أصلا من قبل الرأسمالية، إلا أنه لا بد من التساؤل، أن كيف يمكن لذلك أن يُقضى على الاستغلال الإمبريالي للفلاحين في الوقت الذي لم تتغير فيه طبيعة العلاقات بين ماكينات الاستعمار الجديد من جهة، والتي "يجب تدميرها" على حد تعبير الخطاب، والإمبريالية من جهة أخرى..؟! وللمصلحة من ستؤول عوائد زيادة الإنتاجية..؟! هل ستعود للدولة، التي تعني، في الواقع، البرجوازية البيروقراطية المتزايدة النمو والتغول في المدن، والمعتمدة بالكامل على الإمبريالية،





بالتوازي مع طبقة التجار الطفيلية..؟! هل لهؤلاء (الدولة) سترجع عوائد تحسن الإنتاجية..؟!

في الجلسة الحكومية المنعقدة بشهر آذار/مارس 1984، عندما قررت الحكومة تأميم جميع الأراضي، وإعادة توزيعها تبعا لحاجات العائلات، والقيام بالإصلاح الزراعي الذي سوف: "يقضي على علاقات الإنتاج الإقطاعية القديمة [...] من قبل الفلاحين الفقراء أنفسهم [...] ويلغي الملكية القديمة للأرض [...] ويُسَرِّع من ولادة الإنتاج الزراعي الموسَّع.."، آنذاك، لم يكن ذلك سوى أضغاث أحلام منافية لواقع الحال، لأنه لم يكن جزءا من "ثورة ديمقراطية جديدة" أصيلة، ولأنه لا العلاقات الطبقية "القديمة" القائمة بين الدول الإمبريالية المستغلة والأمة المنهوبة في بوركينا فاسو، ولا العلاقات بين المستغلين والمستغلين في الأرياف، قد عمِل على تحطيمها بشكل جذري. ولفهم ذلك، لا بد من دراسة معمقة لنظام ملكية الأرض والعلاقات الطبقية السائدتين في فولتا العليا (بوركينا فاسو) وفي الدول الأفريقية المشابهة، والتي تختلف، من عدة نواح مهمة، عن النظام الإقطاعي وشبه الإقطاعي الكلاسيكي الذي ساد في أوروبا وبعض مناطق آسيا.

فلقد ارتبط نظام ملكية الأرض في فولتا العليا (بوركينا فاسو) ببنية هرمية قَبَلِيَّة، تم توصيفها حسب العديد من المصادر بالإقطاعية أو شبه الإقطاعية، لأن نظام السخرة corvee الاستغلالي كان لا يزال قائما، والذي يعني القيام بأعمال غير مأجورة بالإضافة إلى تأدية بعض الخدمات التي يفرضها الزعيم على فلاحيه الذين يزرعون الأرض التي: 1. "تسيطر عليها" القبيلة، 2. و"تعود إلى" الأجداد، 3. و"تُدار بواسطة" الزعماء. وترافقت تلك التركيبة مع بنية فوقية قبلية تناسبها، كَرَسَت المجتمع الذكوري، ونظام تعدد الزوجات، وهرمية السلطة القبلية. وكمثال على مدى ظلم ذلك الواقع السيء، لا بد من ذكر الممارسة الأرستقراطية للزعماء، والتي بموجبها يتم "إهداء النساء". فكلما كان الفلاح التابع لزعيمه أكثر ولاء وطاعة له، زاد عدد النساء اللواتي يقدمهن الزعيم له كهدية، مع العلم بأن الزعيم يستردهن متى شاء، إذا أراد معاقبة ذلك الفلاح. قيام الفلاحين بتسليم بناتهم للزعيم، هو مثال آخر، من أجل توزيعهن له وللمن هم دونه حسب تسلسل النَّسَب ضمن الهرم السلطوي القبلي، وعلى بنات البنات أن يُصار إلى إرجاعهن للزعيم بما يضمن استمرار تزويده بالنساء. وبالمناسبة، لا يتم الحديث هنا عن زمان غابر، بل عن أمور كانت تحدث في زمن الثورة، عام 1983، حينما كان بلاط امبراطور قبائل الـ (موسي) في قلب (بوركينا فاسو - سانكارا) يعج بـ 350 زوجة، وبعده لا يحصى من الإماء.





إن تجريد السلطة القبلية، شكليا، من قواها السياسية والاقتصادية، لم يُجَرِّدها من قوتها الكامنة المتمثلة في قوة العرف السائد، والتقاليد والعادات القديمة التي بقيت نافذة ومسيطر. بل إن البعض رأى أن إدخال هذه الزعامات ضمن قيادة لجان الدفاع عن الثورة هو أمر له ميزاته، لولا معارضة البعض الآخر. وقد استمر الفلاحون، حتى بعد أن تم تأسيس المجالس الشعبية في كل قرية في بوركينا فاسو، بانتخاب أسيادهم القدامى كأعضاء في المجالس العليا. وعلى الرغم من حظر الممارسات القبلية، كتقديم هدايا للأسياد "الروحيين"، الذين كانوا يتمتعون بمكانة توازي مكانة الزعماء، و"يضمنون" خصوبة الأرض وحصادا جيدا منها، إلا أن الفلاحين غالبا ما كانوا يبتكرون الوسائل من أجل تمرير هداياهم من الأغنام والأبقار ليلا، أو بعيدا عن أنظار لجان الدفاع عن الثورة. لقد أشار جان زيغلر (وهو أستاذ علم الاجتماع السويسري) في مؤلفه "انتصار المهزوم La Victoire des Vaincus" إلى مثال فح حينما وصف الأرتال الطويلة التي يصطف بها عبيد ال bellahs (أو يُطلق عليهم اسم "الطوارق السود"، الذين يتوارثون العبودية، جيلا بعد جيل، ضمن قبائل الطوارق أو "التماشيق - Tamachek")، وهم بانتظار إعطاء الحبوب لأسيادهم، وحينما قولوا برفض عناصر لجان الدفاع عن الثورة، الذين أخبروهم أن زمن العبودية قد ولى إلى غير رجعة، أجاب العبيد: "لا تزيدوا الأمور سوءا علينا، أنتم هنا منذ أسبوعين، ولكن الطوارق باقون للأبد...!!".

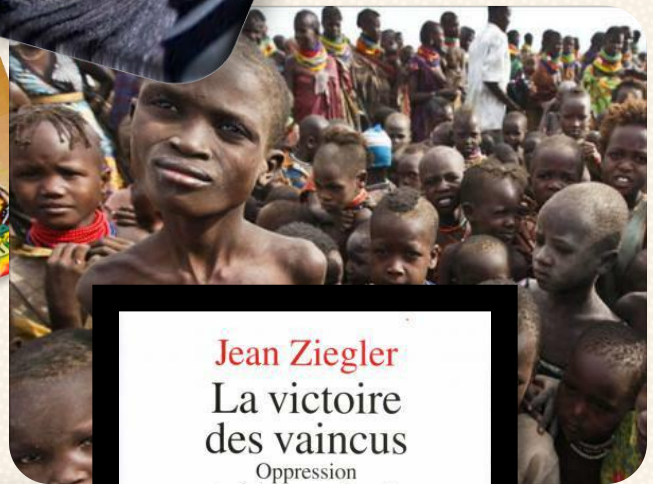
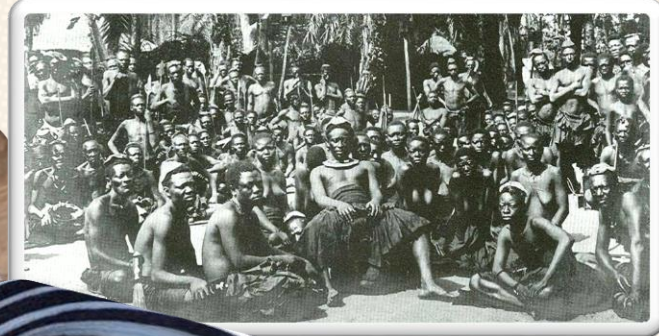
إنه وعلى الرغم من أن ما سبق ذكره من حوادث لم يكن مفاجئا لسانكارا، الذي كان مدركا لخطورة استمرار قبضة التقاليد على أعناق الفلاحين، إلا أنه كان يميل لاعتبار سطوة التقاليد وطقوسها على أنها "مجرد" عادات ثقافية سيتخلى عنها الفلاحون من تلقاء أنفسهم، بدلا من قراءة واقع الأمر على حقيقته، بأن تلك السطوة القوية التي تمتلكها البنية الفوقية، إنما هي انعكاس لواقع علاقات اجتماعية مادية حقيقية، لا تزال موجودة، حتى لو تشاركت في وجودها هذا مع علاقات رأسمالية أو إمبريالية.

سقوط القائد #سانكارا أو لماذا لا يمكنك أن تنجز ثورة بدون الجماهير  
The Fall of Captain Sankara, or  
Why You Can't Make Revolution without the Masses

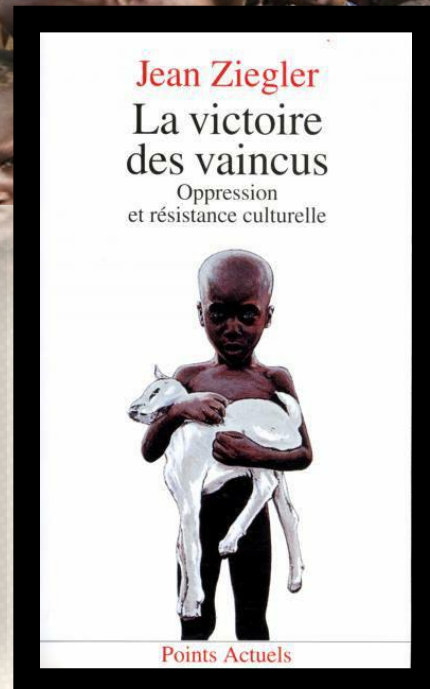


## ألبوم الصور 8

Page | 32



Jean Ziegler







## الحلقة 9

إن أهداف أية ثورة زراعية agrarian revolution يقودها الكادحون من الفلاحين (مقابل مفهوم الإصلاح الزراعي agrarian reform) تتجسد، بالضبط، في:

1. تحطيم نظام الملكية القديم.
  2. اجتثاث البنية الفوقية الرجعية الإقطاعية (أو شبه الإقطاعية).
  3. تحقيق شعار "الأرض لمن يحرثها" عبر توزيع الأراضي بشكل إفرادي.
- ولم يكن الأمر مصادفة، في تجارب أخرى، أن سدّدت سياسة توزيع الأراضي للفرد، وليس للأسرة، ضربة مؤلمة لعلاقات الملكية الأبوية الذكورية (البطريكية) حينما مكّنت المرأة من امتلاك الأرض مثل الرجل، مما جعلها قادرة، في حال حدوث طلاق أو أية تغيرات أخرى في حياتها، على أن تشارك في عملية الإنتاج بناء على مساواة حقيقية. إنّ جعل المنتجين مالكين مستقلين لأراضيهم لهُوَ من أهم الأمور التي تحررهم من سطوة أنماط الإنتاج ما قبل الرأسمالية. ولأجل بناء قاعدة صلبة لاقتصاد وطني، يجب أن يرتكز ذلك على تدمير هذه العلاقات القديمة وليس على "تعديلها أو إصلاحها". ستمثّل هذه المرحلة ثورة برجوازية، لأن سياسة إصلاح الأراضي land reform لا تتجاوز الرأسمالية، لكنها بالمقابل تُحقّق شرطا لازما لأي تقدم حقيقي وأصيل نحو الثورة الاشتراكية: "إن النموذج الجديد للثورة الديمقراطية يمهّد الطريق أمام الرأسمالية، لكنه، في ذات الوقت، يخلق العوامل الضرورية لتحقيق الاشتراكية" على حد تعبير "ماو تسي تونغ".

حينما نتحدث عن الزراعة، فإنه ومن أجل تحرير الفلاحين، لا يمكن السؤال عن الطريق التي يجب المضي فيها، رأسمالية هي أم اشتراكية، إلا بعد تحطيم أنماط الإنتاج ما قبل الرأسمالية. ومن ثمّ، وبالاعتماد على عوامل الرغبة في المبادرة، وتراكم الخبرات، والحماسة الثورية، التي يمكن أن تحرك الفلاحين أنفسهم، يكون من الممكن، إذ ذاك، وبالتدرّج، أن يتم تطوير أشكال من العمل التعاوني، كالمساعدة المتبادلة، والعمل كفريق، وتكوين التعاونيات في نهاية الأمر، وذلك لأن ميزات هذا الأسلوب في العمل ستتضح تباعا لجمهور الفلاحين الفقراء.

يتموضع الكادحون دوما ضد "العمل التعاوني المُزوّر" الذي لا يستند إلى ضرورة تحطيم البنى والعلاقات الإقطاعية القديمة. فمثل هذه الأنواع من العمل لا تؤدي إلا إلى تقنيع تلك العلاقات، وتكريس تلك البنى في نهاية المطاف. ولقد أثبتت التجربة في بوركينا فاسو أنه لا يمكن الذهاب نحو رأسمالية الدولة (التي حُكِيَتْ عنها ولم تتحقق) مع بقاء وجود زراعة شبه إقطاعية وبدون القطع مع الإمبريالية.





إن الجبهة الأخرى المهمة التي يجب أن تحارب عليها الثورة الديمقراطية الجديدة، والتي لا تنفصل أبدا عن الجبهة الأولى المتمثلة في إنجاز الثورة الزراعية، إنما هي ضرورة القطع تماما مع الإمبريالية، وبالتالي إنشاء اقتصاد وطني مستقل و متمحور على الذات.

ففي بلد تكون أكثر أولوياته إلحاحيةً هو إطعام شعبه وحل مشاكل شح المياه فيه، ستكون تقوية الصناعة (الخفيفة) فيه من أكثر الأمور ضرورة والتي تصب في خدمة الزراعة، وذلك بمعدات بسيطة كالمضخات والآبار والأدوات الزراعية، لا أن يتم الإنتاج من أجل التصدير أو يتم تطوير موارد لا تفيد في تحقيق الهدف الأساسي. هذا يعني أنه كان من الأحرى عدم التركيز على المدن، وعدم الانجراف نحو حالة غير متوازنة يُلقى فيها على كاهل الدولة الضعيف بالأساس المزيد من الأعباء Top-heavy state. بكلام آخر أكثر تحديدا، كان يجب أن لا يعتمد شريان حياة المجتمع على الإمدادات الإمبريالية.

لقد تم تجريب العديد من أشكال التعاونيات المختلفة من أجل زيادة إنتاج القرويين، أو بالأحرى، "إجبارهم" على ذلك، وهذا ما حدّر منه ماو تسي تونغ بشدة. وعزوف الفلاحين عن المشاركة في الجمعيات القروية كان مَرَدُّه إلى أنهم لم يؤسسوها بأنفسهم، فيما عدا حالات مضحكة مبكية عندما كانوا يجتمعون لتشكيل جمعيات على أسس برجوازية كوسيلة للحصول على قروض وائتمانات بنكية..!!

أما التعاونيات التي تم الاستعجال بتشكيلها فقد كانت، بدورها، تعاونيات زائفة مصطنعة، وذلك ما ذكره تقرير المؤتمر الزراعي لعام 1984. فقد سيطر على هذه التعاونيات بيروقراطيون وملاك أراض وتجار و جنود يتقاضون راتباً من الدولة، أولئك الذين: "لم يكونوا يخشون من عواقب نهبهم لثروات التعاونيات لأن أقصى ما في الأمر كان نقلهم إلى قرى أخرى فيعيدون الكّرة مرة بعد مرة".



سقوط القائد #سانكارا أو لماذا لا يمكنك أن تنجز ثورة بدون الجماهير  
The Fall of Captain Sankara, or  
Why You Can't Make Revolution without the Masses



## ألبوم الصور 9

Page | 35





## الحلقة 10

في عام 1983 ساهمت فرنسا، عبر منظمات مختلفة تابعة لها، بتزويد فولتا العليا (بوركينا فاسو) بما يقارب الـ 70 مليون دولار أمريكي، وهو ما نسبته 40% من مجمل الميزانية لذلك العام. بالإضافة إلى أن حوالي 3500 موظفا فرنسيا كانوا لا يزالون يَشغَلون وظائفهم المختلفة هناك. معظم هذه "المساعدات" التي ضَحَّها الفرنسيون في الاقتصاد البوركيني كانت على شكل مساعدات تكنولوجية، وتحسينات في المدن، والأهم، استثمرت في التنقيب عن الذهب.

وبرغم المحاولات الحثيثة، بعد الاستقلال، لـ "فلتنة الاقتصاد Volta-ization of the economy"، أي جعله اقتصادا ذا هوية وطنية، إلا أن الشركات التجارية والغذائية الفرنسية، كمصانع البيرة، وشركات زيوت الطعام، ومطاحن الحبوب، ومعامل تكرير السكر، وشركات الغزل والنسيج، وشركات التبغ، ومصانع الأحذية... إلخ، كانت متمسكة بشدة بمواقعها في البلاد، واستطاعت الحفاظ على امتيازاتها الكبيرة أثناء السنوات الأولى لـ "الثورة".

فعندما قررت الحكومة تجديد طابع الرسوم المالية المتعلقة بامتيازات الشركة الفولتية لصناعة الدراجات (Industrie VOLtaïque du CYcle IVOLCY) وهي منشأة محلية تابعة كفرع لشركة فرنسية عابرة للحدود هي الشركة الفرنسية في غرب أفريقيا Compagnie Francaise d' Afrique Occidentale CFAO) ثار أصحاب الشركة الفرعية من المنتجين البوركينيين الذين يندرجون في عداد "البرجوازية الوطنية" ورفضوا دفع الرسوم المالية الباهظة.

تزامن ذلك مع انتهاج سياسة عامة تقضي باستيراد جميع المواد الاستهلاكية والصناعية والمنتجات الغذائية، باستثناء الكماليات التي أدى عدم استيرادها إلى استياء عام بين صفوف طبقة التجار الجشعين، والمرتبطين بالأصل مع الشركات الأوروبية الاحتكارية الكبرى من جهة، ومع كبار تجار الشرق الأوسط من جهة أخرى، وهما الجهتان المنتشرتان بشكل واسع غرب أفريقيا، وفي بوركينا فاسو بطبيعة الحال، من خلال استخدام شبكة صغار التجار التقليديين في شوارع مدنها وأريافها.

وَجَدَ أولئك التجار تعويضتهم عندما شرَّعت الحكومة باستيراد الطماطم بعد أن أفلست معامل تصنيع معجون الطماطم المنتشرة قرب مدينة "بوبو ديولاسو" العاصمة الاقتصادية الواقعة غرب البلاد، وذلك بدلا من أن تقوم الحكومة بإصلاح الأمر، وتساعد المصانع على النهوض من جديد.





يمكن، أيضا، تتبع الآثار الواضحة للتبعية في قطاع الصناعات الصغيرة، حيث إنه، وتحت شعار "خفض الواردات"، كان قد ازداد نمو الشركات البوركيننية ذات رؤوس الأموال الفرنسية المساهمة بنسب تفوق الـ 80%، والتي تعود بالأصل إلى أيام الاستعمار الفرنسي قبل الاستقلال.

فاستيراد الأحماض الدهنية المستخدمة في صناعة الزيوت والصوابين (بدلا من استيراد المنتجات النهائية) أدى إلى منافسة وتهميش منتوجات الحرفيين المحليين التي تعتمد على زيوت الكاريتي. وبنفس الطريقة، كان استيراد المعدات المتطورة لصنع المشروبات الخفيفة والبيرة الأوروبية التي يكلف إنتاجها 5000 ضعف تكلفة إنتاج 100 لتر من بيرة الـ "دولو" المحلية والمعمولة من الذرة الرفيعة (السورغم).

لقد أدّى ما سبق، هو وبقية الممارسات التي تمولها الإمبريالية، إلى عدم الاستفادة من المواد الخام المحلية، وقلة توظيف الأيدي العاملة المحلية، بل حرق كل شيء في سبيل صناعة البيرة الأجنبية، إلى حد القضاء على العوائد المهمة جدا، برغم ضآلتها، والتي كان يمكن للفلاحين أن يجنوها من صناعاتهم المحلية البسيطة، وعدم تشجيع أية نشاطات اقتصادية ثانوية، وحصرها فقط في النشاط المتمثل بتنشيط البارات ومبيعات المشروبات الكحولية..!!

وطالما أن الحكومة تمنح هذه الشركات إعفاءات ضريبية، فلن يجد الفلاحون طريقا أمامهم سوى شراء منتجاتها من البيرة المرموقة الأجنبية، المليئة بالفقاعات الغازية، ذات السعر والمظهر المنافسين للبيرة المصنوعة محليا، هذا في حال تمكنوا من توفير القليل من المال في مواسم الحصاد.

إلى جانب "المساعدات" التي كانت تقدمها الدول الغربية الإمبريالية (الولايات المتحدة الأمريكية، ألمانيا الغربية، الدانمارك، هولندا، وبالتأكيد فرنسا أيضا) كان البنك الدولي وصندوق النقد الدولي والسوق الأوروبية المشتركة وغير ذلك من المنظمات الحكومية الدولية لا يألون جهدا في جعل فولتا العليا (بوركينا فاسو) تقف بالكاد على قدميها، بما يكفي فقط لبدء، وليس إتمام، العديد من مشاريع "التطوير الزراعي"، وذلك لمنع حدوث انفجار ناجم عن المجاعة المنتشرة في البلاد، ولإحكام السيطرة على مستقبلها وضمان عدم تطورها، فلا تحاكي الدول (المهمة) والغنية بمواردها الخام من أمثال نيجيريا (عملاق أفريقيا) وجنوب أفريقيا (صاحبة أضخم بنية تحتية في القارة).

لقد دعا صندوق النقد الدولي إلى اتباع سياسة "التجارة الحرة" التي تعني سياسة إفقار الفلاحين عبر استيراد حبوب أرخص من تلك التي ينتجونها، وذلك من أجل تكريس التبعية.



في كثير من الأحيان، كانت تلك "المساعدات" تُصَرَّف على سخافات من مثل رفاهية أبنية المكاتب الخاصة بممثليات البنك الدولي، أو كما حدث عندما تم شطف الثلث، تماما، من الميزانية التي دفعتها منظمة الأغذية والزراعة، والتي تُقَدَّر بـ 42 مليون دولار أمريكي، والمخصصة لمشاريع إعمارية، وذلك لصرفها على "حاجات ضرورية" كمولدات الكهرباء التي تشغل المكيفات في مكاتب الخبراء الإيطاليين، الذين رفضوا توظيف أي فلاح بوركيني لمساعدتهم.

وبعد القحط الذي أصاب البلاد عامي 1985-84 وصلت "المساعدات" بعد فوات الأوان، مما أدى إلى ضرب أسعار الحبوب في العام التالي أيضا: "...لم تساعد السكان لتطعمهم عندما كانوا يأمّنين الحاجة لها، وعندما أتت، دمّرت السوق المحلية... فهل هذه صدفة..؟!!"، هكذا علّق الخبير الزراعي الفرنسي رينيه ديومونت في إحدى المقابلات، واصفا تلك "المساعدات".



ألبوم الصور 10



2010 

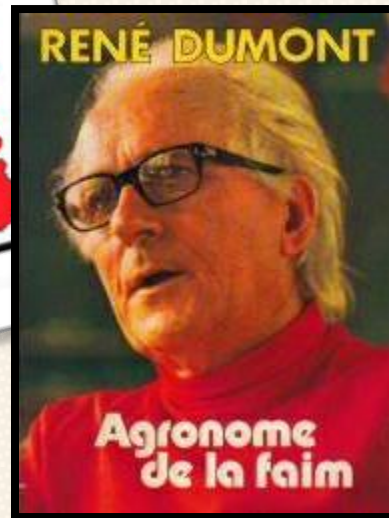
2003 

1996 

1925 

1913 

1887  
1890 





## الحلقة 11

في بداية الثورة، ندّد سانكارا بشدة، بينما كان يتلو خطاب التوجيه السياسي، بـ "الإمبريالية، التي مهما غيرت من جلدها، تحاول على الدوام استغلالنا من خلال ما يُسمّى بالمساعدات، والتي هي مجرد وسيلة لتعميق عزلتنا..".

الأكثر وضوحاً كان تلك الحجج المنطقية التي قدمها سانكارا في مقابلة أجريت معه عندما قام بزيارته للأمم المتحدة في خريف عام 1984: "يمكن نعم أن نستفيد من المساعدات التي نحتاجها بالفعل من الدول المتطورة، لكن مساعداتهم شحيحة، وتحتاج لوقت طويل لوصولها. فرنسا تساعد، ومساعدات الولايات المتحدة ضئيلة إلى حد مضحك، خصوصاً إذا ما قورنت بحجم الرخاء والغنى الذي تتمتع به تلك البلد. يجب علينا أن نكون حذرين عند التعاطي مع موضوع المساعدات، لأننا لن نقبل بها على حساب استقلالنا". هكذا تحدث سانكارا!!

بعد ثلاثة أيام من أول خطاب رئيسي له في تشرين الأول/أكتوبر 1983، والذي تحدث فيه سانكارا عن السياسة الخارجية للبلاد، حينما أعلن عن موقفه الداعم لنيكارجوا، ولكفاح السلفادور، ولجبهة البوليساريو في الجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية، وأدان الغزو الأمريكي لـ (غرينادا)، غدّ مبعوث ريجان الخاص خطاه نحو مكتب سانكارا ناقلاً مذكرة دبلوماسية من حكومة الولايات المتحدة، تهدد بـ "إعادة النظر في اتفاقيات المساعدة والتعاون..". في حال استمرت بوركينافاسو بالتدخل في شؤون دول أمريكا الوسطى.. "التي لا تعرف عنها شيئاً" كما خلّصت إليه المذكرة في خاتمتها.

لقد تجسّد المآزق الذي عانى منه سانكارا في أنه كان يشق طريقه "ضد الإمبريالية" في قلب أجهزة الحكم التي ورثها بكامل طبيعتها البرجوازية وبعتمادها الكامل على المساعدات الإمبريالية، والتي كانت تخضع للعلاقة ذات الطابع الإمبريالي بين الناهب والمنهوب. لقد كانت بالفعل مهمة مستحيلة!!

ولذلك، وبدلاً من أن يتم التعامل مع "المساعدات" الأجنبية في ظل هذه العلاقة وكانعكاس لطبيعتها، حاولت حكومته "إصلاحها". هذا ما عبّر عنه، بوضوح، الأمين الوطني العام للجان الدفاع عن الثورة CDRs حينما قال: "هم يستخدمون المساعدات من أجل المرسيديس، ونحن نستخدمها من أجل المرافش والمعاول وعربات النقل اليدوية..".

في الحقيقة، وعلى الرغم من وعود سانكارا التي تضمنتها خطة التنمية الشعبية PPD، والتي تهدف إلى عمل إنجازات صغيرة الحجم كثيرة العدد لتتمكن من: "تحويل بوركينافاسو إلى ميدان للعمل.."، إلا أن أولوياته توجّهت (وهو ما كان السوفييت يفعلونه غالباً





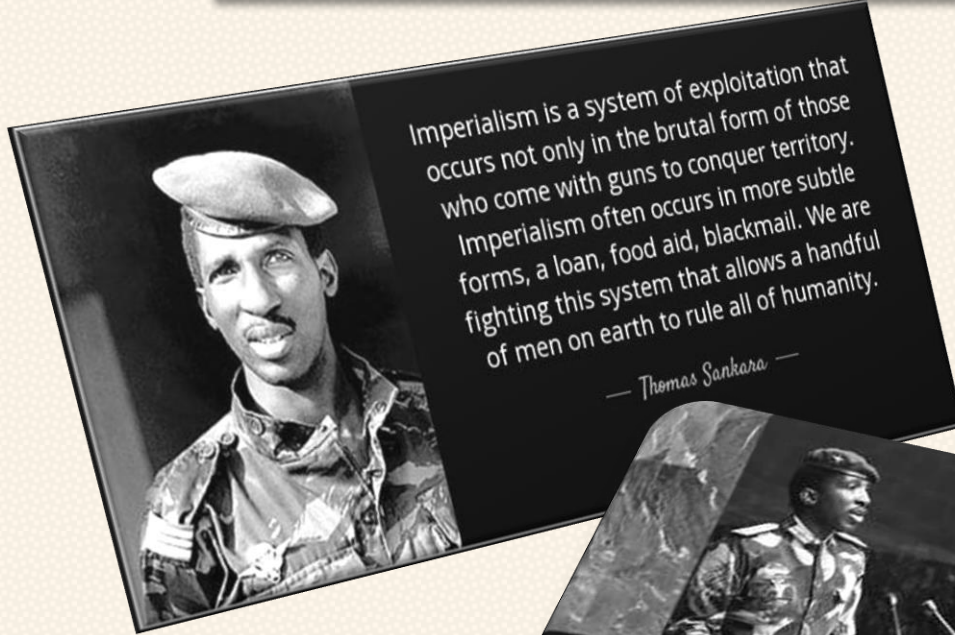
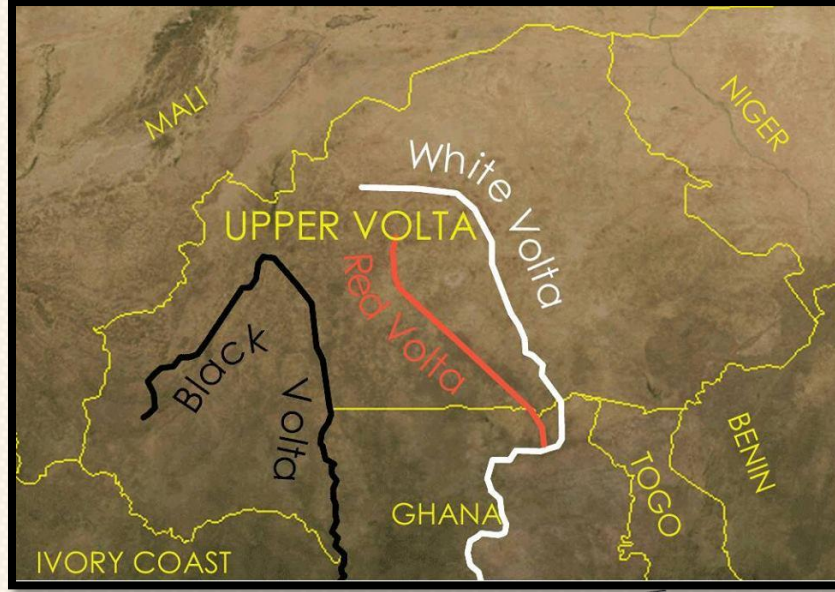


في بلدان مشابهة) نحو ضخ استثمارات ضخمة في عدد قليل من مشاريع البناء المتناثرة هنا وهناك، والتي، حسبما اعتقد سانكارا، ستجذب شهية المانحين لتقديم المساعدات، وستكسيبه الهيبة المطلوبة، وتمنحه الثقة.

لقد تحوّل معظم هذه المشاريع إلى إخفاقات محرّجة بشدة. أوضح مثال كان مشروع الري في سورو Sourou وهو بناء سد على نهر الفولتا الأسود Black Volta River من أجل الحصول على حصّادين اثنين من الحبوب في السنة الواحدة. وبعد أن أفرغ سانكارا خزائن الدولة كي يتمكن) بمساعدة الجرّافات Bulldozers الفرنسية (من إتمام المشروع قبل الاحتفال المهم بالذكرى السنوية الأولى للثورة التي تصادف تاريخ 4 آب/أغسطس 1984، تم الانتهاء بالفعل من تشييد السد، وجمع المياه وتوجيهها عبر القنوات، ولكن، دون أن يتبقى فلسا واحدا لشراء معدات الري التي يجب وجودها من أجل استخدام تلك المياه. فتبخّرت الأحلام مع تبخر المياه بفعل درجات الحرارة المرتفعة. وبدلا من أن تتم زيادة مساحة الأرض المزروعة، والاعتماد على الناس في ابتكار وسائل ري غير مكلفة، انتهى الأمر بالمشروع إلى استنزاف الخزينة، وتضاؤل مساحة الأرض القابلة للزراعة. مثال آخر كان شاهدا على ما حدث. وهو مشروع السكة الحديد في تامباو Tambao شمال البلاد، الذي لم يكن ضروريا أبدا لتطوير الاقتصاد البوركينيني بالنظر إلى دولة تريد الاستقلال. لقد استنفرت الدولة شعبها من أجل خوض "معركة السكك الحديدية"، وشق 300 كيلو مترا منها، من أجل استخراج احتياطات المنغنيز والذهب والبوكسيت غير المستعملة. وبعد إتمام 35 كيلو مترا من السكة الحديد، تَفَدَّ المال. وعندما رفض البنك الدولي منح "المساعدات" لإتمام العمل بحجة أن المشروع باهظ التكاليف، تم إهمال المشروع.



## ألبوم الصور 11





## الحلقة 12

لقد كانت فرنسا أكثر من منزعة من وصول سانكارا إلى السلطة، وبشكل خاص، من مواقفه الدولية. فبوركينا فاسو كانت على الدوام عقدة الطرق المهمة في دائرة النفوذ الفرنسي غرب أفريقيا. وعلى الرغم من أن فرنسا أدارت الأمور في بوركينا فاسو باهتمام، إلا أن الأخيرة لم تكن يوما المنبع الأساسي للأرباح الفائضة superprofits التي تجنيها فرنسا من إمبراطوريتها الغرب . أفريقية. يرجع ذلك إلى الظروف المناخية القاسية التي تعاني منها البلاد، وإلى القرار الفرنسي بعدم تطوير القوى الإنتاجية فيها. وبجميع الأحوال، لم تكن فرنسا تخشى من رحيلها عن بوركينا فاسو، على الرغم من تعرضها المتكرر لانتقادات لاذعة بهذا الخصوص. فقد كانت السياسة الفرنسية، حسبما وصفتها صحيفة "العالم Le Monde" الفرنسية في عددها الصادر بتاريخ 17 تشرين الأول/أكتوبر 1987، "لا تمنع التعامل مع الثوريين الطيّعين". بالمقابل، وبينما كان سانكارا لا يتوقف عن توجيه الانتقادات للإمبرياليين المهووسين بحرق الأخضر واليابس، كانت يده ملتصقة بهم من أجل دفع المزيد من الأموال.

لقد برزت طبيعة هذه العلاقة بين الطرفين في واحدة من أطرف محطاتها عند وقوع "حادثة" دبلوماسية بين سانكارا والرئيس الفرنسي فرانسوا ميثيران أثناء حفل العشاء الرسمي الذي أقيم على شرف الأخير في العاصمة البوركينية في تشرين الثاني/نوفمبر 1986. فقد قام سانكارا بدعوة ضيفه "الاشتراكي" وحاول حشره في زاوية عدم التناقض بين أقواله وأفعاله، حينما اتهم فرنسا بأنها لم تتدخل لوقف الحرب العراقية الإيرانية أو أي من الحروب الإقليمية كما في تشاد والصحراء الغربية، واستنكر استضافة قاطع الطريق جوناك ساقيمبي (مؤسس وقائد الحركة المدعومة أمريكيا: الاتحاد الوطني لاستقلال أنغولا الكامل - يونيتا National Union for the Total Independence of Angola UNITA) والقاتل بيتر بوتا (رئيس حكومة جنوب أفريقيا ورئيس البلاد بعد ذلك، المدافع الشرس عن نظام الفصل العنصري) على التراب الفرنسي، فما كان من ميثيران إلا أن رفع نخب الصداقة الفرنسية البوركينية ورّد مخاطبا سانكارا والحضور بحسم: "يمتلك القائد سانكارا حماسة الشباب، لكن حماسته تلك لها نصل قاطع. إذا كنتم بحاجة لنا أخبرونا بذلك، وإذا كنتم غير محتاجين لنا فالأمر بسيط، دعونا ننسى الأمر."

في حقيقة الأمر، وسواء عبر الطرق السياسية أو غيرها، ستعت فرنسا إلى إعادة "استقرار" الوضع في بوركينا فاسو. فأرسلت حكومتها "الاشتراكية"، باكرا في أيار/مايو 1983، شحنات هائلة من الأسلحة إلى الرئيس جان باتيست أويدراغو، عشية اعتقال سانكارا لمنعه من العودة إلى السلطة. وبعد سنة، رفضت ذات الحكومة الفرنسية





"الاشتراكية" استقبال ثاني أقوى رجل عسكري في بوركينا فاسو، بليز كومباوري، الذي كان يريد إعادة التفاوض من أجل الحصول على "المساعدات" الفرنسية، وذلك لإيصال الاحتجاج الفرنسي على إعدام نظام سانكارا الثوري لسبعةٍ من مُدَيِّرِي الانقلاب عليه. الأكثر من ذلك كان الشائعات التي سَرت حول حرب الأيام الخمسة الحدودية مع مالي، والتي بدأت يوم عيد الميلاد 1985، بسبب النزاع على شريط حدودي بطول 160 كم وبعرض 20 كم شمال بوركينا فاسو، شريط أغاشير Agacher strip، والتي قُتِلَ فيها ما يقارب الـ 300 إنسان. تقول الشائعات إن هذه الحرب كانت بالنيابة عن الفرنسيين، وبإيعاز مباشر منهم لرئيس مالي، موسى تراوري، الذي كانت فرنسا قد أعادت، تَوَّأً، علاقتها معه، الأمر الذي يطرح أيضا تساؤلا عن ماهية الدعم العسكري الحقيقي الذي كان يتلقاه سانكارا.

وبعد أن انتهى المزاح الفرنسي مع بوركينا فاسو، وفي أمرٍ دُيِّرَ ليليل، كان انقلاب تشرين الأول/أكتوبر 1987، الذي أطاح بحياة سانكارا وبثورته. حيث أشار أكثر من مصدر مُطَّلِع إلى الأدلة التي تؤكد أن: "إدارة الانقلاب تَمَّت بالريموت كونترول من بعيد"، وذلك عبر العلاقة الحميمة التي ربطت رئيس ساحل العاج، فيليكس هوفويت بواني، وهو أحد أكثر المتنافسين على خدمة الإمبريالية الفرنسية في غرب أفريقيا، مع الكابتن بليز كومباوري، خليفة سانكارا، الذي وَعد، في جزء من برنامجه "التصحيحي"، بتعاون وثيق مع باريس. والجدير بالذكر هنا، هو أن زوجة كومباوري، شانتال، الساحل -عاجية الفرنسية، هي ابنة رئيس ساحل العاج، ذاته، بالمعمودية.

عَلَّقت الأسبوعية الفرنسية، المُرَاقِب الجديد Le Nouvel Observateur، على كومباوري تقول: "باختصار، لقد كانت له مرجعيات قوية [...] بدونها، وبدون المساعدة الفاعلة من قِبَل ساحل العاج، ما كان لذلك الانقلاب أن يحدث."

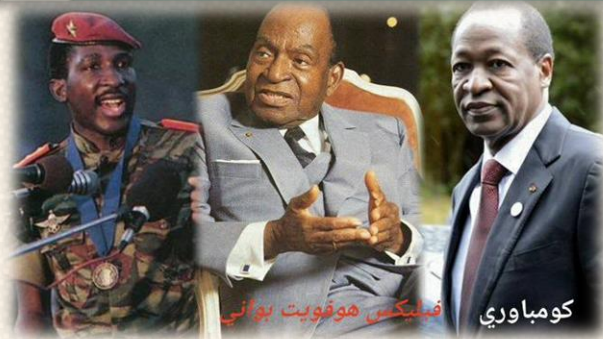
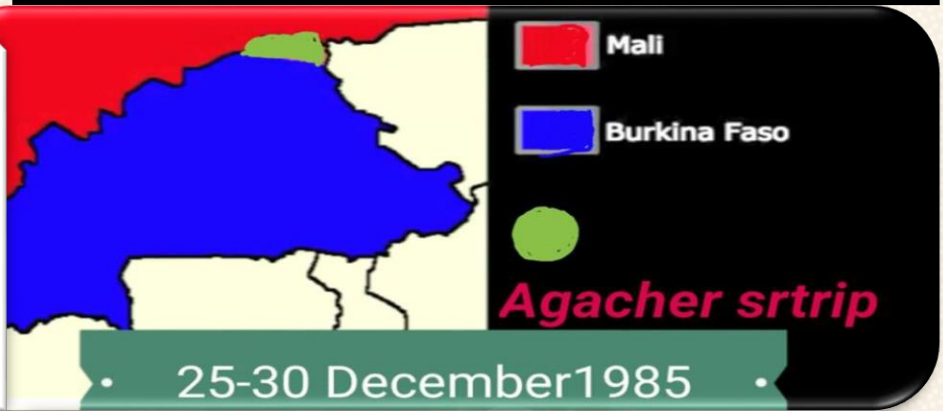
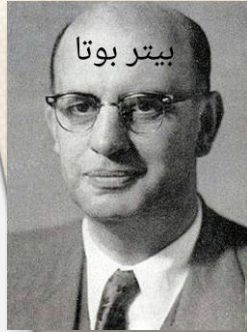


سقوط القائد #سانكارا أو لماذا لا يمكنك أن تنجز ثورة بدون الجماهير  
The Fall of Captain Sankara, or  
Why You Can't Make Revolution without the Masses



ألبوم الصور 12

Page | 45





## الحلقة 13

لقد كان دأب سانكارا مقاطعة جميع محاولات إنشاء كومنولث فرنسي، ولطالما شجب المساعي الرامية إلى "بلقنة" أفريقيا في العديد من المحافل، كمؤتمرات قمة دول عدم الانحياز واجتماعات منظمة الوحدة الأفريقية. كما رفض سانكارا حضور مؤتمري القمة الأفرو-فرنسية الذين عُقدوا عامي 1984 و1985 واصفا إياهما بـ "الأغلال التنظيمية الموروثة عن الحقبة الاستعمارية"، وبدلا عن ذلك، قام سانكارا بعقد قمته مع القذافي، مُنفردَيْن.

ولكن، ماذا كان يلزم، بعد، لإنشاء روابط متينة تربط بين ليبيا وبوركينا فاسو؟! فالتبادل التجاري كان موجودا بين البلدين، والأهم كان شحنات الأسلحة التي قامت ليبيا بتزويد بوركينا فاسو بها: دبابات سوفيتية، وقاذفات صواريخ، وبنادق الكلاشينكوف على وجه الخصوص، تلك الشحنات التي عوّضت مخزون بوركينا فاسو من الأسلحة الفرنسية التي كانت بالكاد تقيم أود المؤسسة العسكرية البوركينية، مما رفع من قدرتها القتالية وساعد في "إعادة تنظيم" هذه المؤسسة النيوكولونيلية.

أما على الصعيد السياسي، فيمكن القول إن سانكارا كان قد رفض، بشكل مهذب، عرض القذافي الدائم بخصوص "دمج البلدين"، كما مال أكثر، حسب بعض المصادر، نحو التعاون مع الجزائر، بعد المساعي الحثيثة لتوحيد الأفارقة العرب والسود، وذلك كله بسبب رفض القذافي أن يتقلد "وسام سانكارا الخاص"، وهو أرفع وسام شرف رسمي في الدولة، الذي منحه إياه سانكارا في إحدى زيارته لطرابلس الغرب. واستكمالا لموقف سانكارا من القذافي، قام بأول زيارة رسمية للجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية. وذلك على خلفية التنافس بين ليبيا والجزائر آنذاك على النفوذ في دول الصحراء الأفريقية وما بعدها جنوبا ومنها قضية الصحراء الغربية.

إن أقوى علاقات سانكارا كانت، في الحقيقة، مع نظام جيري جون رولينغز رئيس غانا وقائد الانقلاب الذي استلهم منه سانكارا انقلابه. فقد صاغ الرجلان معاهدة دفاع مشترك بين البلدين، وقاما معا بعدة مناورات عسكرية مشتركة، مما استفز الأنظمة التابعة لفرنسا في المنطقة من أمثال الغابون وساحل العاج. بكلام آخر، كان مجرد التفكير بتأسيس محور موالي للسوفييت يربط طرابلس الغرب بأوغادوغو مع أكرا (عاصمة غانا) أمرا مرفوضا من الفرنسيين ومجمل المنظومة الإمبريالية الغربية.

سافر سانكارا إلى كوبا وإلى الاتحاد السوفييتي، لكنه كان دائما ينفي أنه كان يُؤلَّب موسكو ضد باريس. لقد أبدى سانكارا مواقف متناقضة حيال الاتحاد السوفييتي والكتلة الشرقية، مما أثار صراعا حادا مع أصدقائه وضمن دوائره المقربة حول هذه المسألة.





فقد عقد السوفييت، من خلال علاقتهم بسانكارا، آمالا بالتقليل من اعتماد بوركينا فاسو على الفرنسيين، لكن اعتماد سانكارا عليهم أدخل البلاد في قوقعة لم تستطع الخروج منها.

كانت المساعدات السوفييتية لبوركينا فاسو، كما هي عادة السوفييت مع الدول الأفريقية، تتدفق عبر مسارب الأنظمة الموالية لها من "دول عدم الانحياز". فكوبا التي تمتلك خبرة واسعة، بحكم اعتبارها محمية سوفييتية، في مجال زراعة المحاصيل المُعدّة للتبادل التجاري، عرضت مساعدتها في بناء قطاع صناعة السكر في بوركينا فاسو. وبمشاركة غانا، قامت كوبا بتشبيد مدارج مطار العاصمة البوركينية. ليبيا، أيضا، دفعت قرابة الـ 10 مليون دولار أمريكي كمساعدات، بالإضافة إلى مساعدات أخرى من أنغولا وموزمبيق ورومانيا، وكذلك كوريا الشمالية التي أرسلت الحديد والإسمنت لبناء مسارح شعبية في أوغادوغو وبوبو ديولاسو.

بمقابل كل ذلك، أعلن سانكارا ضرورة رحيل القوات السوفييتية عن أفغانستان، وفضّل الإبقاء على العلاقات الدبلوماسية مع ألبانيا التي كانت على علاقة عداء مع الاتحاد السوفييتي ما بعد ستالين بسبب سيطرة التحريفية الخروتشوفية حسب رؤية الزعيم الشيوعي الألباني أنور خوجة.

الصين، بدورها، تبرعت بحفر 100 بئر تقريبا ضمن حملة التغلب على شح المياه، ودفعت ملايين الدولارات الأمريكية لبناء "ستاد الرابع من آب The 4<sup>th</sup> of August Stadium"، والعديد من المشافي.

وعلى الرغم من كل هذه "المساعدات الصديقة" التي منحتها دول غير غربية، كان سانكارا يتجنب، على الدوام، الخلط بين ما أسماه النضال من أجل الاستقلال عن الاستعمار الجديد للفرنسيين من جهة، "وردّات الفعل الناجمة عن اختلاف لون الجلد" من جهة أخرى.

عندما فاجأ سانكارا أصدقاءه بالإيفاد السريع لممثلين عنه أمام فريق جاك شيراك الانتخابي، عشية استلام الأخير رئاسة الحكومة الفرنسية، من أجل تقديم التهنئة بعودة "الحق" لأصحابه، ذوي الأغلبية البرلمانية في آذار/مارس 1986 بفرنسا، ولتطمين شيراك بخصوص نوايا بوركينا فاسو، إذ ذاك، علّق سانكارا بلهجة مازحة يقول: "حتى لو جاء جان ماري لوبان يوما ما إلى رأس السلطة في باريس، فسنقوم بإرسال وفدنا، وسنحافظ على علاقاتنا مع فرنسا..!!" (لوبان هذا، هو رئيس الجبهة الوطنية اليمينية الفاشية الجديدة في فرنسا).

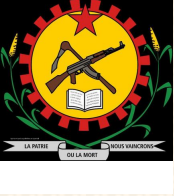


سقوط القائد #سانكارا أو لماذا لا يمكنك أن تنجز ثورة بدون الجماهير  
The Fall of Captain Sankara, or  
Why You Can't Make Revolution without the Masses



## ألبوم الصور 13

Page | 48







## الحلقة 14

لقد توجّه سانكارا وأصدقاؤه وحكومته بقوة نحو جعل العاصمة مركزا أفريقيا مُهمًّا للأحداث السياسية والثقافية والرياضية، حتى أضحت أواغادوغو مركز جذب للفنانين والمثقفين، ومَحَجًّا للقادة الديمقراطيين الاجتماعيين والتحريريين الإصلاحيين من كافة أرجاء المعمورة، بدءا من ياسر عرفات وليس انتهاء بدانييل - نيكاراجوا "أورتيجا".

فصدّخت موسيقى الـ "ريغي Reggae" الجامايكية الكاريبية في سماء العاصمة من قلب ستادها الجديد new stadium، وأضحى مهرجان أواغادوغو للأفلام البان - أفريكان هو الحدث الثقافي الأبرز في عموم أفريقيا السوداء، ما أدى إلى توافد الفنانين جنبا إلى جنب مع جماهير الشعب.

الأهم، كان سعي النظام الثوري لتأسيس سمعة دولية كبيرة بوصفه مركزا دوليا لمناهضة نظام الفصل العنصري، من خلال تنظيمه للعديد من المنتديات والتظاهرات ذات العلاقة. وبذات الحجم، كان تأسيسه، في سياق معركته لنشر ثقافة "تحرير المرأة"، لفرقة الـ "روك Rock" النسائية، التي عُزِّت باسم "حمام السلام Doves of Peace".

إن مجرد طرح مسألة اضطهاد المرأة على مائدة الثورة كان قمينا بحسم خيارات بوركينا فاسو بهذا الصدد، خصوصا عندما تم رفع شعار أن قضية تحرير المرأة هي جزء لا يتجزأ من قضية تحرير البلاد. لكن ما حدث، هو أنه وبقدر الآمال الواهمة التي تعلّقت بها نساء بوركينا فاسو، كانت المقاومة الشرسة لمنع تحققها.

في الواقع، لقد تم التعامل مع مسألة المرأة بنفس الآلية التي تعامل بها سانكارا ورفاقه مع التناقضات الطبقيّة الأساسية في البلاد: بخطابات محشوة بالنّفس العسكري حتى النخاع، وذات رائحة يسارية فوّاحة وجوهر "يميني" (اقتصادي وغير مُنجز)، ولا يعتمد في حقيقته على كفاحات الجماهير الكادحة.

تقول إحدى النساء البوركينيات اللواتي تَعِشْنَ في الأرياف بهذا الصدد: "يبدو أن هذه الثورة قامت من أجل نساء ورجال المدن، وليس الأرياف. هذه الثورة ليست لنا".

صحيح أنّ رؤية سانكارا ورفاقه المتعلقة بـ (إنجاز التحرر من خلال الإنتاج الاقتصادي) تمكّنت من إدراك الطبيعة الجائرة التي تحكم العلاقات بين الرجال والنساء، والتي يصعب تجاهلها أو تجنّب عواقبها المنتشرة في المجتمع، مثل الإتجار بالمرأة كسلعة، وعمل المرأة المضني لدرجة التعجيل بموتها، ومنعها من إبداء أي رأي سواء تعلّق الأمر بإجبارها على الزواج أو كان أمرا ذا صلة بالحياة السياسية في البلاد، أو حتى تشويهها جنسيا (ختانها) من أجل ضمان الهيمنة الذكورية، لكنه، وعلى الرغم من ذلك الإدراك، ولأسباب تتعلق بأن تثويرهم للأرياف لم يكن يهدف إلى تحطيم جميع علاقات الإنتاج





القديمة، فإنهم كانوا عاجزين عن تجاوز التحديات التي واجهتهم، والتي لم يكن بالإمكان تجاهلها، وعاجزين كذلك عن إطلاق سراح جماهير النساء.

لقد وقف سانكارا ورفاقه مُفلسين أمام ظاهرة دفاع النساء، أنفسهن، عن ظاهرة "تعدد الزوجات" التي كانت بمثابة طوق نجاتهن، لأن تعدد الزوجات من شأنه أن يورِّع العمل المضني غير المحتمل على أكثر من امرأة، ويعطيها فرصة لتنفس الصعداء من رغبة الذكور الأبديّة في إنجاب مَنْ "يحفظون أنسابهم"، من خلال توزيع مهمة "الحمل pregnancy" على الزوجات بالتناوب.

وحيث إن ذلك النظام الثوري كان أقل ثوريةً من أن يُنجز خطة عمل تستند على الكادحين من أجل حل مسألة اضطهاد المرأة، كجزء من عملية تحرير النساء و"الرجال" واقتلاع العلاقات الرجعية القديمة المهيمنة بين أفراد الشعب من جذورها، فإنه تَقَرَّم إلى ذلك الحد الذي جعله يكتفي بإصدار مراسيم "ثورية" لإعلان حقوق المرأة. تلك الحقوق، التي ستكون فارغة من أي مضمون حقيقي، بدون حدوث تغيير جذري، تماما كقانون "تجريم" النظام الطبقي في الهند (حيث تُجرّم المادة 15 من الدستور الهندي التمييز ضد الطبقات الدنيا).

وما زاد في الطنبور تَعَمًا، هو تلك "البرامج العمليّة" التي أطلقتها الثورة، إلى جانب المراسيم، وكانت تَعْتير، على سبيل المثال، تحرير المرأة أمرًا يعتمد، بالدرجة الأولى، على زيادة عدد المحارِث والآبار.

تُمثّل هذه الرؤية، في حقيقة الأمر، نسخة أخرى من "نظرية القوى المُنتِجة" الشائعة عند التحريفيين على اختلافهم، والذين لا يقيمون وزنا لكفاح الجماهير الثوري، ولا يعرفون سوى العزف على نغمة زيادة القوى المُنتِجة، كنغمة سحرية تؤدي بالمجتمعات إلى التقدم.



سقوط القائد #سانكارا أو لماذا لا يمكنك أن تنجز ثورة بدون الجماهير  
The Fall of Captain Sankara, or  
Why You Can't Make Revolution without the Masses



ألبوم الصور 14

Page | 51





## الحلقة 15 والأخيرة



إنه وعلى الرغم من هزلة مستوى الرفاه الذي تعيشه قطاعات سكان المدن urban sectors في بوركينافاسو بالمقارنة مع ذلك الذي ترفل به البلاد الغنية، إلا أن أعدادا متزايدة من تلك القطاعات، وبسبب كونهم أقل استعدادا لِتَحْمُل عبء الإجراءات الإصلاحية التي تزيد الخناق أكثر فأكثر على رفاههم النسبي، كانت قد بدأت، ومنذ فجر الثورة، بالتململ والاستفاقة من برامج سانكارا، مع العلم بأن تلك القطاعات، التي تقطن في المدن، كانت هي التي تم الاعتماد عليها لإنجاز الثورة.

فقد توقف الموظفون المدنيون لدى الدولة، وغيرهم، عن المشاركة المنتظمة في اللقاءات السياسية، وعن العمل التطوعي في الأرياف، كما هَجَرَ العديد من المثقفين البلاد من أجل البحث عن وظائف ذات مردود أعلى في الدول المجاورة.

وبموازاة ذلك، تصاعدت حدة الصراعات السياسية الداخلية ضمن أروقة المجلس الوطني لقيادة الثورة CNR، فقامت المنظمات اليسارية بإعادة ترتيب صفوفها من أجل الاستفادة من التآكل في حجم دعم سانكارا، كما بدأت النقابات باستعراض عضلاتها بالتعاون مع بعض أعضاء الدائرة العسكرية الحاكمة، والمُقَرَّبَة من سانكارا.

تفاقم الوضع عندما قام سانكارا، على إثر الإضراب الذي حصل في ربيع 1984، بإقالة 1200 مَدْرِّسا، وتعيين معلمين من لجان الدفاع عن الثورة CDRs بدلا عنهم، ويطرد وزراء تابعين للاتحاد الوطني للتطوير PLD من الحكومة، وذلك بتهمة دفع البلاد إلى أحضان السوفييت، وخداع لجان الدفاع عن الثورة.

في الأول من أيار/مايو 1987، وبعد أن طالب أربعة من أكبر الاتحادات النقابية في البلاد، معا، بعودة "الحريات الديمقراطية"، تم اعتقال 30 قائدا نقابيا تابعين لنقابات الموظفين المدنيين الذين يتقاضون أجورهم من الدولة، ومنهم كان زعيم اتحاد الـ PLD الموالي للسوفييت، والذي كان سيتم إعدامه، كما تردد آنذاك. كما تم، أيضا، طرد وزراء التيار التحريفي الصيني (المعتدل) والذي يمثله اتحاد المناضلين الشيوعيين - المُعاد بناؤه ULC من الحكومة.

وهكذا، حتى ازداد وضوح الفرز ضمن المجلس الوطني لقيادة الثورة، إلى حد كبير، بين طرفين: النقابات من جهة، ولجان الدفاع عن الثورة من جهة أخرى. فاقترح سانكارا توسيع بنية المجلس الوطني لقيادة الثورة، وتشكيل حزب جامع يُوَجِّد المجموعات الثورية ويرأب الصدع الآخذ بالاتساع بشكل متسارع. لكن الكثير من الشخصيات العسكرية الرفيعة ضمن الجيش، ومنهم بليز كومباوري، لم يُخَيِّد فكرة الحزب الجامع التي طرحها سانكارا، بل مال إلى تأسيس جبهة واسعة.



وفي خِصَمِّ التوترات والمكائد المتزايدة، تم وضع عدة خطط للقيام بانقلاب يطيح بسانكارا. وعلى الرغم من استمرار شعبيته، خصوصا في أوساط الشباب والطلبة، إلا أنه، وأملا في أن يظهر بصيص ميول ثورية في آخر النفق، كان كلما ازداد إصراره على وضع بصمته على مسار الأحداث التي تتنازعها أعاصير الإصلاحيين، مما يُجبره أحيانا على الانحناء أمامها، كلما تزلزلت الأرض من تحت قدميه، تلك الأرض الهشة التي لا تنتمي للكادحين، والتي اختارها هو بنفسه ليعتمد عليها في بناء ثورته. وعندما تَوَلَّى كومباوري رئاسة البلاد، قام بِحَلِّ المجلس الوطني لقيادة الثورة، وتشكيل جبهة شعبية، كما وعد بإعادة توظيف من تم طرده من المدرسين، وذلك من أجل إنجاز "التصحيح"، مع المحافظة على أهداف الثورة. لقد كانت الرواية الرسمية كالتالي: سانكارا رجل متفرد ومستبد، ويحاول تكميم أفواه اليسار الذي ساعده في الوصول إلى السلطة.

لئن كان محتملا اعتقاد كومباوري بأنه سيستفيد من ارتفاع صوت الشعارات اليسارية، فإنه كان أكيدا، أنّ كومباوري هذا، ومن خلال اعتلائه الإجرامي للسلطة، كان قد وضع نهاية قاسية لتجربة بوركينا فاسو الثورية، وأسس لعودة البلاد أكثر نحو "التّفهُم المسؤول" لواقع الاستعمار الجديد-neocolonialism. إن أي نظام ثوري حقيقي يتصدى لمهمة عملاقة، كتلك التي تهدف إلى اقتلاع العلاقات الرجعية الجائرة القديمة في البلاد، سيواجه حتما عقبات كأداء. فبمجرد سقوط سانكارا، علا صوت البرجوازية، عبر وسائل إعلامها، ابتهاجا، وشماتة بعجز سانكارا عن الاستمرار في ممارسة دوره كـ "مثير للشغب" في غرب أفريقيا الفرنسي. ولم يكن يعينهم كثيرا فشل سانكارا كقائد ثورة، بقدر ما أرعبهم ألا تفشل الثورة ذاتها.

لقد حاول سانكارا حشد الفلاحين نعم، لكنه لم يعتمد عليهم بشكل رئيسي كحجر زاوية لأي تغيير ثوري حقيقي منشود في بلد مثل بوركينا فاسو. كما أراد سانكارا الفكك من برائن الإمبريالية، في الوقت الذي كان يتربع فيه على عرش جهاز دولة رجعي، صنعتة الإمبريالية ذاتها.

وبمقتل سانكارا بيد الجيش المُغرق في تَبَعِيَّتِهِ للاستعمار الجديد، والذي كان هو ذاته فردا من أفرادها، فإنه، إذا كان ثمة درس يجب أن يَعيَهُ الكادحون، فهو أنه لا بديل عن تحطيم جهاز الدولة الرجعي بأيدي الجماهير الكادحة ذاتها.

إن الاستيلاء الناعم نسبيا على السلطة، والذي قام به سانكارا عام 1983، لم يَمَس جوهر السلطة القديمة ولا النظام الاجتماعي القديم بأي أذى حقيقي. وعلى الرغم من ذلك، فإن الإمبرياليات الغربية لم تغض الطرف عن محاولته الانحراف بالبلاد خارج المسار التقليدي للاستعمار الجديد. بل، وعلى العكس من ذلك، كانت الضغوط العامة لهذه

الإمبرياليات تُملي عليها أن تُعَجَّل من تطوير وسائل خداعها السياسية والمالية، من أجل إعادة تعديل سيناريو الأحداث لمصلحتها في نهاية الأمر، حتى لو اضطرت، أحياناً، إلى القيام ببعض الإجراءات اللازمة لفلترة التيارات الديمقراطية الاجتماعية (الإصلاحية تحت سقف النظام الرأسمالي).

إن اللعب خارج هذا السيناريو، وعلى حساب إحكام القبضة على رقاب المسحوقين، إنما يؤكد الافتراض بأنه ما من طبقة اجتماعية تستطيع تمثيل مصالحها الثورية الحقيقية، سوى طبقة الكادحين، كما أنه لا يمكن اختصار الطريق نحو التحرر من الإمبريالية، أو القفز فوق الطريق الوحيدة، والشاقة، والمتطلبة دوماً للتضحيات الجسام، وهي الحرب الشعبية، وكفاح الجماهير الكادحة والواعية لمضمون كفاحها.

## ألبوم الصور الأخير 15



قبر توماس سانكارا في مقبرة داغونين، في واغادوغو.

انتهت الدراسة

